المعاونيّة الثقافية
وحدة الدراسات والمتون الثقافية

الرَّصدُ الثَّقافيّ

نشرة داخلية دورية تعنى
برصد القضايا والاخبار الثقافية

العدد 18 - عام 2023

ازدواجيّة المعايير؛
سقوط الصورة الزائفة

مركز المعارف للدراسات الثقافية
Alma'aref center for cultural studies

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL-MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

مقدمة العدد 7

القسم الأوَّل: ازدواجيَّة المعايير 9

اليهودي التائه وصل».. كيف ساعدت الفلسفة الأوروبية في قيام «إسرائيل»؟ 10

«هولوكوست» برعاية غربية! 17

ازدواجية معايير؟ 20

مجزرة غزة: سقوط مدوٍّ لقيم العالم الحديث 26

ازدواجيّة المعايير... أوروبا التي "تحتار" أمام مآسينا 30

حرية زائفة.. كيف فضحت غزة نفاق النخب الثقافية الغربية؟ 37

مثقفو الغرب... ما تبقى من المسؤولية الأخلاقية 43

أيها الغرب، جرائمك كثيرة 49

أصوات إسبانية حرّة: غزّة إذ تكشف ازدواجية الغرب 55

التظاهر في فرنسا يؤدي للسجن، والتلويح بالعلم في بريطانيا جريمة 64
ما هي الدول الغربية التي منعت التضامن مع فلسطين؟

القسم الثاني: رأي المثقّف العربي 69

الثقافة العربية واختبار فلسطين... ما العمل؟ (1) 71

الثقافة العربية واختبار فلسطين... ما العمل؟ (2) 86

الثقافة العربية واختبار فلسطين... ما العمل؟ (3) 99

الثقافة العربية واختبار فلسطين... ما العمل؟ (4) 112

الثقافة العربية واختبار فلسطين... ما العمل؟ (5) 123

الثقافة العربية واختبار فلسطين... ما العمل؟ (6) 141

مُقدِّمة العدد:

بسم الله الرحمن الرحيم

يعيش العالم اليوم ازدواجية المعايير أو ما يُعرف بالإنكليزية بـ Double Standards، المصطلح الوحيد الذي ينطبق على ما تختبره أميركا والدول الغربيَّة على وجه الخصوص، التي تقدم نفسها على أنَّها حامية حقوق الإنسان والمدافعة عن الإنسانية، أو هذه على الأقل الصورة التي تريد أن تظهر بها. ولكن عندما تعلّق الأمر بحرب تخوضها مدلّلتها «إسرائيل» سقطت كل الشعارات الرنّانة مثل السلام والأمن والمساواة والحقوق وغيرها، والتي تغنّت بها على مرّ العقود، وجعلت منها معيارًا لقياس مستوى تقدّم الدول وشرطًا لازمًا للدول التي تراها في طور الانتقال من كونها نامية لتصير بمنظورها دولة حديثة.

كشفت حرب طوفان الأقصى التي اندلعت في السابع من أكتوبر 2023 عن حجم الزيف والادّعاء في الأبواق الغربيَّة، والتي تسارعت لاهثةً في تبرير آلة القتل الصهيونيَّة بحقّ المدنيّين، مُتخطّيةً كل المعايير والمواثيق الأمميّة، من قتلٍ للأطفال والنساء والعُجّز، بالإضافة إلى قتل الصحافيّين واستهداف المُستشفيات، ولا ننسَ الحجم الهائل للدمار بحق الأبنية. كل ما سبق يُشكّل إبادة جماعيّة للحجر والبشر، كما لو كان العدو الصهيونيّ يتعمّد طمس الهويّة الفلسطينيَّة عن صفحات التاريخ الحالي، و«الدفاع عن حقّ البقاء» كان التبرير الوحيد الذي تردّد في تصريحات رؤساء وحكومات الدول الغربيَّة.

استنادًا لما سبق، نضع بين أيديكم العدد الخاصّ من تقرير الرصد الثقافي العدد 18 بـ «ازدواجيّة المعايير؛ سقوط الصورة الزائفة»، وقد جاء العدد في قسمين، الأوّل عرضنا فيه المقالات والإصدارات التي تحدّثت عن ازدواجيّة المعايير في التعامل الغربيّ مع حرب طوفان الأقصى من جهة وحرب روسيا- أوكرانيا من جهة أخرى، أمّا في القسم الثاني فقد أوردنا فيه العدد الخاص المنشور على موقع العربي الجديد، والذي جاء فيه رأي مجموعة من المثقّفين والكُتّاب والإعلاميّين العرب حول رأيهم في ما يدور في حرب طوفان الأقصى بعيدًا عن رأي حكوماتهم.

تبصرة: لقد أوردنا أعلى كلّ مقال موجزًا عامًا حول المقال وما ورد فيه من نقاط مهمّة.

والحمد لله ربِّ العالمين

مركز المعارف للدراسات الثقافية
Alma'aref center for cultural studies

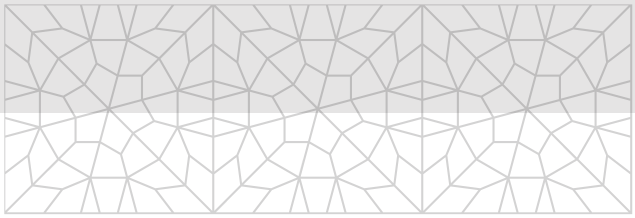

القسم الأوَّل: ازدواجيَّة المعايير

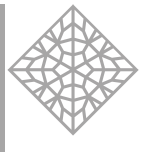

اليهودي التائه وصل»..
كيف ساعدت الفلسفة الأوروبية
في قيام «إسرائيل»؟

التاريخ: 2023/10/25

المصدر: موقع الميادين

الكاتب: يوسف م. شرقاوي

موجز المقال:

يعرض المقال بعض الأعمال الأدبيَّة المؤسِّسة للصهيونية، كما يرصد تنظيرات فلاسفة أوروبيين للصهيونية، تُعد من أهم أوراق الدعاية لها في القرن العشرين. إضافة إلى ذلك، فإن تزييف التاريخ، سواء القديم أو الحديث، من أهم الأهداف لخدمة الصهيونية.

ويتناول الكاتب ما رصده ممدوح عدوان في كتابه «تهويد المعرفة» أعمالًا عديدة في الأدب الغربي ظهرت فيها صورة اليهودي الإنساني، الجار والمعين عوضًا عن اليهودي الكريه. كما تحدّث عدوان عن عمليات مزدوجة في المراجعات التاريخية، وكان لها 3 أغراض حسب ممدوح عدوان، هي:

1 - غسل التاريخ اليهودي من كل شائنة، فأي حدث غير محمود قام به اليهود، تتم إعادة النظر فيه إما لنفي دور اليهود فيه، وإمّا لتبرير هذا الدور.

2 ـ «سرقة العبقريات»، فكل عبقرية تأتي في التاريخ يتمّ اختراع نسب يهودي لها.

3 ـ احتكار المآسي، عبر الإبقاء على مأساة اليهود كونها المأساة الإنسانيَّة الوحيدة وطمس كل ما سواها، المأساة المعاصرة (الهولوكوست) والمأساة التاريخية (التيه والسبي).

كما يتناول الكاتب يوسف شرقاوي كيف انضوى الكتّاب والفلاسفة الذين تناولوا الوضع في فلسطين في منطق النزعة المركزيَّة ودعم المشروع الصهيوني «لا سيما من خلال كتاب « اليهودي التائه وصل». ثم يذهب الكاتب إلى تسويق الغرب للعرب بوصفهم «امتداد للنازي الأوروبي المضطهِد لليهود» وكانت أطروحة جان بول واحدة من أولى أوراق الدعاية الصهيونية وأهمها، إذ عدّ من يرفض الأخيرة داعمًا للفكر النازي، وصوّر العرب أنهم امتدادٌ للنازي الأوروبي المضطهِد لليهود والمهِّدد لوجودهم.

ليتابع فيما بعد موضوع حظر التمييز بين اللاسامية وبين مناهضة الصهيونية، فتحدث عن انحياز التغطية الإعلاميَّة الأوروبيَّة (كما هي اليوم) أثناء حرب تشرين 1973، وقد انخرط فيها عدد من مثقفي وفلاسفة المرتبة الأولى، منهم دو بوفوار، وعادوا للتشديد على اللاسامية العربية. فيما عدّ الفلاسفة الجدد في النصف الثاني من السبعينيات، اللاسامية معطًى ثابتًا لا يتبدل، ووصفوا اليهودي بأنه ضحيّة ومنشق في جميع الأزمنة والأمكنة.

إذًا، على امتداد القرن العشرين، وحتى الأيام هذه، ثمة تقاطع لخطين اثنين في الفلسفة الأوروبيَّة، والفرنسيَّة تحديدًا، حيال الصهيونية. الأوّل ينبثق من العداء العام للعرب والإسلام، فيما يتمثَّل الثاني بالوعي الأوروبّي الشقي حيال الهولوكوست، والذي ترجم نفسه بانحياز عاطفي إلى اليهود كنقيض وترياق للاساميَّة: من الاقتناع بأنّ من واجب الغربيّين الأخلاقي التعويض على اليهود إلى القبول بالمشروع الصهيوني.

أصل المقال:

أدى الأدب الصهيوني والفلسفة الأوروبية دوراً كبيراً في التنظير لقيام «إسرائيل» وشيطنة العرب والمسلمين. كيف حدث ذلك؟

لا نقاش حول الدور الذي لعبه كل من الأدب الصهيوني والفلسفة الأوروبية، في تجميع رأي عام إلى جانب «إسرائيل» (الصهيونية) ومزاعمها.

نستعرض هنا بعض الأعمال الأدبية المؤسسة للصهيونية، كما نرصد تنظيرات فلاسفة أوروبيين للصهيونية، تُعد من أهم أوراق الدعاية لها في القرن العشرين. إضافة إلى ذلك، فإن تزييف التاريخ، سواء القديم أو الحديث، من أهم الأهداف لخدمة الصهيونية، وهو ما يوضحه كيث وايتلام في كتابه «اختلاق إسرائيل القديمة».

الأدب وغسل التاريخ اليهودي

منذ القرن الثامن عشر، بدأت صورة اليهودي الكريه تتراجع في الأدب الغربي وتحّل محلها بالتدريج صورة اليهودي الإنساني، الجار والمعين.

يرصد ممدوح عدوان في كتابه «تهويد المعرفة» أعمالاً عديدة ظهرت فيها هذه الصورة، سواء في رواية «هارنغتون» لماريا إدجورت (1767 - 1849)، ثم عند بنيامين دزرائيلي (1804 - 1881) الذي تعدّه الصهيونية واحداً من طلائعها المبكرة، والذي كان يدرك كما يقول إنّ: «التوجه الفطري لدى الشعب اليهودي مضاد لمبدأ المساواة بين البشر».

وفي روايته «آلوري» 1833، يعرض دزرائيلي موضوعه بوضوح، وهو «النضال من أجل إقامة كيان يهودي في فلسطين وإعادة بناء هيكل سليمان»، وقد وصل دزرائيلي إلى رئاسة الوزارة البريطانية مرتين، كما توجد في روايته، وفقاً للشهيد غسان كنفاني، البذور الفعلية لولادة الصهيونية السياسية.

بعده نذكر جورج إليوت (1819 - 1888) في كل من «الغجرية الإسبانية»

و»دانييل دينورا»، وفي الأخيرة جعلت إليوت همها أنّ تفسير اصطلاح «شعب الله المختار» يعني أن الله اختار اليهود لينقذوا الإنسانية، واختارهم «في سبيل الشعوب الأخرى»، وقد اتكأت على هذا الهدف الميتافيزيقي لتقفز إلى نقطة أخرى هي الدفاع عن حق اليهودية في أن تكون قومية.

في كتابه «أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948 - 1966»، يقول كنفاني إنّ أي رواية صهيونية لا تخلو من الاستعانة بسلاحين شديدي الإغراء، أولهما التطويل في الحديث عن المذابح التي قامت بها الهتلرية، وثانيهما الربط بين الصهيونية ووعود التوراة بشأن فلسطين. ويشرح كذلك كيف أصبحت كلمتا «العرق» و»الدين» اصطلاحين لمعنى واحد في الأعمال الأدبية الصهيونية، وهي عنوان واضح لجوهر الدعوة الصهيونية السياسية وقاعدة من أهم قواعدها، أي مبدأ التفوق اليهودي الذي يقوم على احتقار عرقي لبقية الشعوب وخاصة العرب.

بعد تمكن اليهود من مواقعهم الأكاديمية، بدأت عمليات مزدوجة في المراجعات التاريخية، وكان لها 3 أغراض حسب ممدوح عدوان، هي:

4 ـ غسل التاريخ اليهودي من كل شائنة، فأي حدث غير محمود قام به اليهود، تتم إعادة النظر فيه إما لنفي دور اليهود فيه، وإما لتبرير هذا الدور.

5 ـ يواكب الغرض الثاني الأول، وهو عملية «سرقة العبقريات»، فكل عبقرية تأتي في التاريخ يتم اختراع نسب يهودي لها.

6 ـ احتكار المآسي، وقد تم ذلك من خلال إعادة النظر بمآسي الشعوب الأخرى لطمسها أو تبريرها أو إنكارها نهائياً للإبقاء على مأساة اليهود على أنها المأساة الإنسانية الوحيدة، وهي تشمل المأساة المعاصرة (الهولوكوست) والمأساة التاريخية (التيه والسبي).

«اليهودي التائه وصل»

منذ البداية، أي منذ الاختلاجات الأولى للصهيونية السياسية في أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر، يظهر أن الجهوزية لنازع المركزية الأوروبية، حددت بقدر كبير رؤية النزاع الذي كان قيد البروز في الشرق الأوسط، من خلال تغييب السكان الفلسطينيين من جهة، والازدراء بتطلعاتهم الوطنية، ومن خلال تولية «الصهيونية» أمر «مهمة حضارية» مثلها مثل أي مشروع كولونيالي، كما يقول فاروق مردم بك في محاضرة ألقاها عام 2010، في مؤتمر «الكتاب والقضية الفلسطينية» وترجمها حسن الشامي.

منذ إصدار وعد «بلفور» عام 1917 ثم استيلاء البريطانيين على القدس حتى الحرب العالمية الثانية، انضوى الكتّاب والفلاسفة الذين تناولوا الوضع في فلسطين في منطق النزعة المركزية ودعم المشروع الصهيوني. من جوزيف كيسيل وكتابه «أرض الحب والنار» 1924، أو ألبير لوندر وكتابه «اليهودي التائه وصل» عام 1930، والذي يحتفي فيه بالانبعاث القومي لليهود.

ويمتد ذلك إلى الأخوين جيروم وجان تارو اللذين وضعا كتابين يبديان فيهما إعجاباً لا حدود له بإنجازات الصهيونية، التي اجتذبت، باعتبارها عقيدة قومية مولودة في أوروبا، تعاطف الفاشيين من أمثال داريو لاروشيل الذي كتب في نص له سنة 1938: «ليس هناك من تكريم يقدم للفلسفة القومية أجمل وأفضل من ذلك الذي يصنعه اليهود الصهيونيون».

العرب بوصفهم «امتداد للنازي الأوروبي المضطهِد لليهود»

تمكنت الصهيونية، في سنتَي 1947 و1948 من إقناع الرأي العام بأنها حركة من حركات التحرر الوطني، وأن الفلسطينيين أنصار للنازية، كما لعبت مزاعمها على أوتار تتنقل بين الشفقة على ضحايا الهولوكوست والتضامن مع الناجين، وأن «الحراك» الصهيوني في فلسطين لا يختلف عن كفاح اليهود الأوروبيين ضد النازية.

بحسب المراجع، قد يكون جان بول سارتر أول من قدم الدعم السياسي والتنظير الفلسفي للصهيونية، وذلك عبر مقالته «تأملات في المسألة اليهودية» باعتبارها (أي الصهيونية) التمثل الحقيقي كممارسة يهود العالم لحقهم في الوجود الحر واتخاذ موقف يعبّر عنهم.

وكانت أطروحة سارتر هذه واحدة من أولى أوراق الدعاية الصهيونية وأهمها، إذ عدّ من يرفض الأخيرة داعماً للفكر النازي، وصوّر العرب على أنهم امتداد للنازي الأوروبي المضطهِد لليهود والمهدِّد لوجودهم. سرعان ما تم التوظيف الصهيوني لفلسفة سارتر ومفهومه عن معاداة السامية، وتم دمج وإلحاق مصطلح «معاداة الصهيونية» به، وسوف يتبنى تنظير سارتر للصهيونية عدد من فلاسفة أوروبا ويعملون به.

الدعامة الأساسية للإدعاءات الصهيونية كانت تتمثل كذلك في «العصبة الفرنسية من أجل فلسطين الحرة» وقد أنشأها سنة 1947 في فرنسا ناشطون قريبون من تنظيم الإرغون، وضمّت وجوهاً عديدة من الأنتلجنسيا مثل سارتر وسيمون دو بوفوار وريمون آرون وفلاديمير جانكيليفيتش وإيمانويل مونيه وجاك مادول وبول كلوديل وجول رومان وغيرهم.

حظر التمييز بين اللاسامية وبين مناهضة الصهيونية

صدرت في النصف الأول من ستينيات القرن الماضي كتابات تتناول «النزاع» الدائر في الشرق الأوسط، لكنّ فلسطين (المسألة الفلسطينية) ظلت مطموسة في كل ما ينشر حتى تأسيس «منظمة التحرير الفلسطينية» عام 1964.

ومع ذلك، بقي سارتر مستمراً في تنظيره، وأكد سنة 1967 حظر التمييز بين اللاسامية وبين مناهضة الصهيونية. ثم احتل المشهد آخرون مثل أندريه نيهير وأرنولد ماندل اللذين أسبغا صفة القداسة على الدولة اليهودية وصفة الطهارة على قادتها.

أما أثناء حرب تشرين 1973 فقد كانت التغطية الإعلامية الأوروبية (كما هي اليوم) منحازة، وقد انخرط فيها عدد من مثقفي وفلاسفة المرتبة الأولى، منهم دو بوفوار، وعادوا للتشديد على اللاسامية العربية.

في النصف الثاني من السبعينيات، سلّم الجيل القديم هذه «الأمانة» كما يقول مردم بك، للفلاسفة الجدد مثل برنار هنري ليفي وأندريه غلوكسمان وآلان فنكلكروت، وعدّ هؤلاء اللاسامية معطى ثابتاً لا يتبدل، ووصفوا اليهودي بأنه ضحية ومنشق في جميع الأزمنة والأمكنة.

إذاً، على امتداد القرن العشرين، وحتى الأيام هذه، ثمة تقاطع لخطين اثنين في الفلسفة الأوروبية، والفرنسية تحديداً، حيال الصهيونية. الأول ينبثق من العداء العام للعرب والإسلام، فيما يتمثل الثاني بالوعي الأوروبي الشقي حيال الهولوكوست، والذي ترجم نفسه بانحياز عاطفي إلى اليهود كنقيض وترياق للاسامية: من الاقتناع بأن من واجب الغربيين الأخلاقي التعويض على اليهود إلى القبول بالمشروع الصهيوني.

في هذا الصدد، يقول الفيلسوف جيل دولوز: «كان الظافرون بين الذين تعرضوا لأكبر عملية إبادة في التاريخ. وقد صنع الصهيونيون من عملية الإبادة هذه شراً مطلقاً، بيد أن تحويل أكبر إبادة في التاريخ إلى شر مطلق ينمّ عن رؤية دينية وصوفية لا عن رؤية تاريخية. وهي لا توقف الشر، بل على العكس تنشره وتجعله يقع على أبرياء آخرين (الفلسطينيين)، كما تتطلب تكفيراً عن الخطأ يلقي على هؤلاء الآخرين قسماً مما كابده اليهود، كالطرد والحجز في معازل بشرية والاختفاء كشعب، وذلك بوسائل أكثر برودة من الإبادة، لكن بهدف الوصول إلى النتيجة نفسها».

«هولوكوست» برعاية غربية!

التاريخ: 2023/10/15

المصدر: موقع الميادين

الكاتب: زاهي وهبي

موجز المقال:

لا يتورّع «الغرب السياسي» عن استخدام ترسانته الدبلوماسيَّة والإعلاميَّة والدعائيَّة في سبيل قلب الوقائع رأسًا على عقب وتزوير الحقائق وتزييف الوعي. يضع الجلاد في موضع الضحيَة، وينحاز إلى القاتل ضدّ القتيل. حتى عندما ارتضى الفلسطينيّون بأقل القليل من حقوقهم وذهبوا إلى أوسلو، لم يلتزم الاحتلال بهذا الاتفاق، رغم أنّه يصبّ في مصلحته، وواصل عمليّات الاستيطان والقتل والاغتيال والتنكيل والقمع والاعتقال. يتناول المقال السقوط الأخلاقيّ للغرب السياسيّ والإعلامي والثقافي (حتى معرض فرانكفورت للكتاب، وهو أكبر المعارض الأوروبية وأكثرها شهرةً، أعلن دعمه لـ «إسرائيل» في حربها المسعورة على غزة). ويتحدّث عن النفاق الإعلاميّ الغربيّ الذي زعم في كذبة شنيعة أنّ الفلسطينيين يقطعون رؤوس الأطفال، فيما تجاهل القتل اليومي لمئات الأطفال الفلسطينيين في غزة.

أصل المقال:

الدول التي صدّعت رؤوسنا بشعارات الحرية والديمقراطية تقمع التظاهرات المنددة بالعدوان الإسرائيلي، وتحاول حجب الحقيقة عن مواطنيها، والقنوات التلفزيونية والصحف التي «تعطينا» دروساً في المهنية والنزاهة والموضوعية فضحت بنفسها زيف ادعاءاتها.

منذ عشرات السنين، منذ النكبة وما قبلها، ومنذ وعد بلفور حين أعطى مَن لا يملك مَن لا يستحق، ومنذ سايكس بيكو التي قسّمت بلادنا إلى أقطار، عازلةً مصر عن بلاد الشام ومشرق العرب عن مغربهم، تجري عملية اقتلاع شعب من أرضه على مرأى العالم ومسمعه، ويؤتى بخليط من الشعوب ليحتل أرضاً ليست أرضه، ممارساً أبشع أنواع العسف والظلم والجور والعنصرية ضد أبناء الأرض وأصحابها الشرعيين الذين لم يستكينوا يوماً، وما زالوا يبذلون الدماء والأرواح في سبيل حريتهم واستقلالهم، فيما العالم يتعامى عن مأساتهم ويتواطأ مع جلاديهم.

ما تعيشه فلسطين هذه الأيام، وما تتعرض له غزة من إبادة جماعية على يد النازية الجديدة المدعومة من القوى الاستعمارية المتوحشة، يثبت مرة أخرى أن لا عدل ولا عدالة في هذا العالم. ثمة شعارات جوفاء صرعنا بها الساسة الغربيون على مدى عقود من الزمن، لكنها سقطت وتسقط كل يوم تحت أقدام كل طفل فلسطيني شهيد.

كل ما يتغنّى به الغرب السياسي والإعلامي من كلام عن حقوق الإنسان والقانون الدولي والشرائع الإنسانية يتهاوى حين يتعلّق الأمر بـ«دولة» الاحتلال الإسرائيلي التي تمارس إرهاباً لا مثيل له منذ أكثر من 7 عقود متتالية، فيما هذا «العالم» المتوحش يصفق لها ويرسل لها السلاح والمال كي تواصل جرائمها.

لا يتورع «الغرب السياسي» عن استخدام ترسانته الدبلوماسية والإعلامية والدعائية في سبيل قلب الوقائع رأساً على عقب وتزوير الحقائق وتزييف

الوعي. يضع الجلاد في موضع الضحية، وينحاز إلى القاتل ضد القتيل. حتى عندما ارتضى الفلسطينيون بأقل القليل من حقوقهم وذهبوا إلى أوسلو، لم يلتزم الاحتلال بهذا الاتفاق، رغم أنه يصبّ في مصلحته، وواصل عمليات الاستيطان والقتل والاغتيال والتنكيل والقمع والاعتقال. رضي القتيل ولم يرضَ القاتل!

بشعٌ ومقيتٌ هذا العالم في صورته الحالية

السقوط الأخلاقي للغرب السياسي والإعلامي والثقافي (حتى معرض فرانكفورت للكتاب، وهو أكبر المعارض الأوروبية وأكثرها شهرة، أعلن دعمه لـ«إسرائيل» في حربها المسعورة على غزة). النفاق الإعلامي الغربي زعم في كذبة شنيعة أن الفلسطينيين يقطعون رؤوس الأطفال، فيما تجاهل القتل اليومي لمئات الأطفال الفلسطينيين في غزة.

الدول التي صدّعت رؤوسنا بشعارات الحرية والديمقراطية تقمع التظاهرات المنددة بالعدوان الإسرائيلي، وتحاول حجب الحقيقة عن مواطنيها، والقنوات التلفزيونية والصحف التي «تعطينا» دروساً في المهنية والنزاهة والموضوعية فضحت بنفسها زيف ادعاءاتها وسقطت في امتحان المظلومية الفلسطينية.

لقد أعادت عملية «طوفان الأقصى» وتداعياتها تأكيد الكثير من الحقائق، وأولها أن هذا الاحتلال هشٌّ وضعيف وأوهن من بيت العنكبوت وقابل للزوال، وأن «دولة» الاحتلال ما هي إلا ثكنة عسكرية متقدمة متعددة الجنسيات وممثلة لمصالح الغرب الاستعماري، الذي ما إن استشعر خطراً وجودياً على ربيبته حتى هب لنجدتها وحمايتها ورفع معنوياتها المنهارة، وأنه عند الضرورة يخلع أقنعته كلها، ويعلن نفسه محتلاً فعلياً لفلسطين خلف قناع الكيان/ الثكنة، وها هو يوفر الغطاء السياسي والعسكري والإعلامي لهولوكست تُرتكب بحق العزل من أبناء الشعب الفلسطيني في غزة، فيما «الجيش الذي لا يقهر» يقف ذليلاً حائراً في حضرة فلسطين ومقاوميها.

ازدواجية معايير؟

التاريخ: 2023/10/25

المصدر: موقع قنطرة

الكاتب: إسماعيل عزام

موجز المقال:

يتحدث هذا المقال عن صدقية نظريَّة «ازدواجية المعايير» بعد اصطفاف الغرب مع الكيان الصهيوني في الحرب الوحشيَّة على غزة في الوقت الذي انتفض في وجه بوتين في حربه على أوكرانيا. ويقدّم المقال مجموعة من الشواهد والأدلة التي عمد فيها إلى المقارنة بين حالة غزة وحالة كييف. ويعطي الكاتب الشواهد والأدلة على ذلك، ويُخرج بعض الدول من هذا الوصف عندما يستدرك بالقول إنه لا يمكن وضع الدول الغربية في بوتقة واحدة فيما يتعلق بالموقف من الصراع. على المستوى الرسمي، خرجت أصوات من شبه الإجماع الغربي على الدعم المطلق لإسرائيل كإيرلندا مثلًا التي ندّدت بالانتهاكات الإسرائيلية.

أصل المقال:

وقفت غالبية الدول الغربية مع إسرائيل في بداية الحرب، ورغم الارتفاع الكبير لعدد لضحايا المدنيين في غزة ووسط كارثة إنسانية متفاقمة، إلّا أن التفاعل الغربي محتشم للغاية. فهل تأكدت نظرية «ازدواجية المعايير» التي يلاحق بها الغرب، خصوصا مع مقارنة طريقة تفاعله مع غزو أوكرانيا؟

في التاسع عشر من أكتوبر/تشرين الأول 2022، صرّحت رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين أن «الهجمات التي تستهدف البنى التحتية المدنية لأجل قطع المياه والكهرباء والتدفئة عن الرجال والنساء والأطفال مع قدوم الشتاء، هي أعمال إرهابية خالصة وعلينا أن نطلق عليها هذا الاسم».

لكن المسؤولة الأوروبية ذاتها، ورغم أن وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت، أعلن في اليوم الثالث لاندلاع الحرب بين إسرائيل وحركة حماس، قطع كافة إمدادات الماء والكهرباء والوقود عن قطاع غزة، إلّا أنها استمرت في تأكيد أنها تقف إلى جانب إسرائيل دون أيّ تعليق حول مسألة قطع هذه الخدمات الضرورية عن قطاع يعيش فيه أكثر من مليوني إنسان، واضطر فيه عدد من الناس لشرب المياه المالحة.

وقف الغرب بشكل واضح مع إسرائيل بعد الهجوم الدامي المباغت، الذي شنته حركة حماس صبيحة السابع من أكتوبر 2022، وأوقع حوالي 1400 قتيل إسرائيلي بينهم عدد كبير من المدنيين فضلاً عن أسر واختطاف أكثر من مئتين. يذكر أن الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة يصنفان حماس بأنها «حركة إرهابية»، وكررت فون دير لاين أن «إسرائيل تملك حق وواجب الدفاع عن نفسها».

لكن السياسية الألمانية فون دير لاين استدركت لاحقاً القول بإضافة أن الرد العسكري الإسرائيلي ينبغي أن يتم «في تناسق مع القانون الدولي الإنساني» في تغريداتها على تويتر، بعد ارتفاع عدد الضحايا المدنيين في الجانب الفلسطيني

إثر القصف الإسرائيلي، وهو الرقم الذي تجاوز حالياً 4300 قتيل وآلاف الجرحى، فضلاً عن انهيار شبه تام للقطاع الصحي، دون أن تقدم على أيّ انتقاد، ولو بسيط، لأسلوب الرد العسكري الإسرائيلي.

مصادر تحدثت عن شكاوى داخل المفوضية من تجاوز فون دير لاين لصلاحياتها، خصوصاً عندما قامت بزيارة غير مقرّرة لإسرائيل حسب ما نقله موقع «بوليتيكو»، ولم تدع إسرائيل للالتزام بالقانون الدولي الإنساني، ما دفع جوزيف بوريل، الممثل الأعلى للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية، إلى القول إن هذه الأخيرة لا تمثل وجهات الاتحاد في السياسة الخارجية، بل يقررها زعماء دول الاتحاد، ثم وزراء الخارجية تحت رئاسة بوريل.

وكشف موقع إذاعة راديو فرنسا، رسالة معممة من 842 موظفا من مؤسسات الاتحاد الأوروبي، ينتقدون فيها «انحياز» رئيسة المفوضية، وقالوا: «إننا بالكاد نتعرف على قيم الاتحاد الأوروبي بسبب اللامبالاة الظاهرة التي أظهرتها مؤسستنا خلال الأيام القليلة الماضية تجاه المذبحة المستمرة ضد المدنيين في قطاع غزة»، مبرزين إدانتهم لهجوم حماس وكذلك لـ«رد الفعل غير المتناسب من إسرائيل».

تركيز على المساعدات و«ازداوجية معايير»؟

في البداية قررت المفوضية الأوروبية تجميد كل المساعدات الموجهة للفلسطينيين، بعد يومين على هجوم حماس، بمبرّر أن «حجم الإرهاب والوحشية ضد إسرائيل وشعبها يمثلان نقطة تحول» حسب كلام أوليفر فارهيلي، مفوض الاتحاد الأوروبي لشؤون التوسع، لكن بعد ثلاثة أيام تراجعت المفوضية عن هذا القرار إثر انتقادات واسعة من داخل أوروبا، خصوصاً أن القرار اعتبرته أوساط كثيرة قرارا أحادياً، ولاحقاً قرّرت المفوضية مضاعفة المساعدات ثلاث مرات.

لكن هناك أصوات كثيرة تشير إلى أن اختزال الدعم الموجه للفلسطينيين في المساعدات أمر غير كافٍ، وأن على الغرب أن يقوم بما هو أكبر من ذلك، سواء في دعم الفلسطينيين لتأسيس دولتهم المستقلة، أو السعي حالياً لوقف مؤقت لإطلاق النار، وهذا المطلب الأخير ترفضه الولايات المتحدة التي استخدمت الفيتو لمنع صدور قرار في مجلس الأمن، قدمته البرازيل، بسبب ما تراه واشنطن عدم «ذكر حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها».

وفي قضية «ازدواجية المعايير»، يحيل مصطفى بيومي، أستاذ الإنجليزية في كلية بروكلين الأمريكية، في مقال على الغارديان البريطانية، على موقف الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي الذي شدد أكثر من مرة على حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، ويتساءل بيومي: «هل سيقول زيلينسكي الشيء نفسه بالنسبة لروسيا على أراضي دولته؟ بالطبع لا. يجب عليه أن يرى أن غزو أراضيه هو أقرب إلى وضع الفلسطينيين»، علما أن زيلينكسي كان قد شبه ظروف بلاده بظروف إسرائيل، قائلاً في الكنيست الإسرائيلي إن البلدين ينالان «التهديد نفسه، أي التدمير الكامل للشعب والدولة والثقافة».

«ازدواجية المعايير» تُتهم بها كذلك الحكومة الألمانية. الصحفي الألماني فابيان شيدلر كتب مقالا بعنوان «غزة: معايير أولاف شولتز المزدوجة»، ذكر فيه أنه كان على المستشار الألماني أن يقول كذلك إنه «يقف بثبات إلى جانب القانون الدولي وضحايا أيّ أعمال عنف، بغض النظر عن جنسيتهم أو عقيدتهم أو لون بشرتهم»، وأن «يدعو إلى إنهاء دوامة التصعيد»، بجانب قوله «نقف بحزم إلى جانب إسرائيل».

لكن شولتس لم يفعل هذا، حسب شيلدر، أحد الأصوات الصحفية الألمانية القليلة التي انتقدت موقف بلاده، وذكر شيلدر إنه إذا وقف المستشار «خلف الحكومة الإسرائيلية دون وضع أيّ مسافة، فهو يتخلى عن القانون الدولي ويتحول إلى شريك في عمل انتقامي غير قانوني يخلف تأثيرات أكثر تدميراً من جرائم حماس».

أصوات حقوقية تتعالى

لكن لا يمكن وضع الدول الغربية في بوتقة واحدة فيما يتعلق بالموقف من الصراع. على المستوى الرسمي، خرجت أصوات من شبه الإجماع الغربي على الدعم المطلق لإسرائيل.

الرئيس الإيرلندي مايكل دانييل هيجينز وجه انتقادات رسمية لرئيسة المفوضية الأوروبية على عدم توازنها، وإيوني بيلارا، وزيرة الحقوق الاجتماعية بالوكالة في إسبانيا (تنتمي لليسار) نددت بشدة بالهجوم الإسرائيلي في غزة، ما دفع السفارة الإسرائيلية في مدريد للاحتجاج، لكن حكومتا البلدين حاولتا البقاء على التوازن في نظرتهما للصراع الجاري.

لكن الانتقادات صدرت أكثر من المنظمات الحقوقية. منظمة العفو الدولية التي نشرت تقارير متعددة تنتقد السياسات الإسرائيلية، ذكرت مؤخراً أن هناك «أدلة دامغة على ارتكاب جرائم حرب في هجمات إسرائيلية قضت على أسر بأكملها في غزة»، وأن إسرائيل «انتهكت القانون الإنساني الدولي بما في ذلك شن هجمات عشوائية فشلت في التمييز بين المدنيين والأهداف العسكرية».

وفي التقرير ذاته، ورد تصريح أنياس كالامار، الأمينة العامة للمنظمة التي طالبت «حماس، وغيرها من الجماعات المسلحة، بإطلاق سراح جميع الرهائن المدنيين بشكل عاجل، والتوقف فورًا عن إطلاق الصواريخ العشوائية إذ لا يُعقل أن يكون هناك أي مبرر للقتل المتعمد للمدنيين تحت أي ظرف من الظروف».

كما عارضت الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان، مقرها باريس، بشكل كامل «أمر إخلاء المدنيين من شمال غزة الذي أصدرته إسرائيل»، واستنكرت هذه الأوامر بـ«اعتبارها نقلاً قسريًا وغير مشروع للمدنيين»، وطالبت الدول بـ«عدم التواطؤ في الجرائم المرتكبة ضد الشعب الفلسطيني».

وفي الواقع لا يدرك الغرب وضمنه الولايات المتحدة أن عدم التوازن في معالجتهم لهذه الحرب في الشرق الأوسط يؤثر بشكل كبير على مصالحهم في محاولات عزل روسيا على الصعيد الدولي، خصوصاً أن هذه الأخيرة تحاول اتخاذ موقف لا يتماشى مع الإجماع الغربي ولا يصل كذلك إلى دعم الفصائل الفلسطينية.

ويقول لويس شاربونو، مدير مكتب هيومن رايتس ووتش بالأمم المتحدة لرويترز: «إذا أرادت الولايات المتحدة وبقية الحكومات الغربية إقناع العالم بجديتهم بشأن حقوق الإنسان وقوانين الحرب، فإن المبادئ التي تطبقها بحق على الفظائع الروسية في أوكرانيا، وفظائع حماس في إسرائيل، يجب أن تنطبق أيضًا على استخفاف إسرائيل الوحشي بحياة المدنيين في غزة».

مجزرة غزة: سقوط مدوٍّ لقيم العالم الحديث

التاريخ: 2023/10/28

المصدر: موقع درج

الكاتب: غير مُحدّد

موجز المقال:

شركاء كبار لـ«إسرائيل»، على رأسهم الولايات المتحدة الأميركيّة، وقطاع واسع من عواصم وإعلام غربي، جزء من آلة الحرب ومن وقائعها وتفاصيلها. يسبق أن شهدنا في العصر الحديث، ومنذ الحرب العالمية الثانية، هذا المقدار من التواطؤ الدولي على مجموعة بشرية، سيقت إلى المصير الذي يعيشه الفلسطينيون اليوم في غزة. فالعالم بأجمعه ضرب صفحًا عن مسارٍ طويل من رفض "السلام" الذي أبدته «إسرائيل» بحكوماتها المتتالية منذ ثلاثة عقود، أي منذ أقدم الإسرائيلي ايغال عمير على اغتيال إسحاق رابين معلنًا رفض إسرائيل السلام، ورأى العالم أنّ واقعة 7 تشرين/ أكتوبر في غلاف غزة هي مؤشر رفض الفلسطينيين، وليس حماس، السلام!. ما يجري ليس أقل من سقوط مدوٍّ لقيم دأب العالم على الإطناب بها منذ الحرب العالمية الثانية. فإشاحة الوجه عن جريمة حرب ترقى لأن تكون إبادة، هو الفشل الأكبر لهذه القيم منذ الهولوكوست. قد لا تفوق أرقام قتلى مجزرة غزة قرينتيها في سوريا أو العراق مثلًا، لكن الأخيرتين لم تجريا على وقع جلسات تطبيع مع المجزرة في دوائر صناعة القرار في الغرب. آلة الحرب «الإسرائيلية» تتحرّك اليوم في غزة بدعم من أميركا، ولكن أيضًا برعاية جزء كبير من الدول الأوروبيّة، وبانعدام حساسيّة جزء من العرب حيال الظلامة الفلسطينية.

أصل المقال:

ليست إسرائيل وحدها من يقف وراء المجزرة المتواصلة منذ ثلاثة أسابيع في غزة، فالتفويض الذي منحه الغرب لبنيامين نتانياهو كان له الدور الأكبر في تعاظم الجريمة وفي تحولها من واقعة انتقام إلى فرصة إبادة منهجية لها وظيفة صارت واضحة، وتتمثل في عملية "ترانسفير".

وصار واضحاً بفعل الوتيرة المتصاعدة للقتل أن "حماس" ليست الهدف الوحيد لآلة الحرب الإسرائيلية، انما أيضاً سكان القطاع، لا بل ما يضمه هذا القطاع من بنية تجعله مؤهلاً لأن يكون منطقة تصلح للعيش فيها مستقبلاً.

ما تعيشه غزة اليوم ليس حرباً بين الجيش الإسرائيلي وحركة حماس، ذاك أن أكثر من مليوني فلسطيني مستهدفون تحت أنظار العالم، وفي اللحظة التي كانت تُسقط فيها الطائرات الحربية الإسرائيلية آلاف الأطنان من المتفجرات على رؤوسهم، كان البيت الأبيض يرتكب بحقهم جريمة موازية تتمثل في رفضه قراراً بهدنة إنسانية في الجمعية العامة للأمم المتحدة!

أليس هذا كافياً للقول بأن شركاء كبار لإسرائيل، على رأسهم الولايات المتحدة الأميركية، وآخرين من بينهم قطاع واسع من عواصم وإعلام غربي، هم جزء من آلة الحرب ومن وقائعها وتفاصيلها.

لم يسبق أن شهدنا في العصر الحديث، ومنذ الحرب العالمية الثانية، هذا المقدار من التواطؤ الدولي على مجموعة بشرية، سيقت إلى المصير الذي يعيشه الفلسطينيون اليوم في غزة. فالعالم بأجمعه ضرب صفحاً عن مسارٍ طويل من رفض "السلام" الذي أبدته إسرائيل بحكوماتها المتتالية منذ ثلاثة عقود، أي منذ أقدم الإسرائيلي ايغال عمير على اغتيال إسحاق رابين معلناً رفض إسرائيل السلام، واعتبر العالم أن واقعة 7 تشرين/ أكتوبر في غلاف غزة هي مؤشر رفض الفلسطينيين، وليس حماس، السلام!.

ما يجري في غزة لم يعد يحتمل تأويلاً آخراً غير أننا حيال عملية تطهير القطاع من سكانه. من يبقى على قيد الحياة عليه أن يشعر أن هذه الأرض لا تصلح لمواصلة الحياة فيها. عليه أن يوقن أن أحداً لا يريده أن يبقى في مدينته أو مخيمه أو مزرعته.

ما يجري ليس أقل من سقوط مدوٍ لقيم دأب العالم على الإطناب بها منذ الحرب العالمية الثانية. فإشاحة الوجه عن جريمة حرب ترقى لأن تكون إبادة، هو الفشل الأكبر لهذه القيم منذ الهولوكوست. قد لا تفوق أرقام قتلى مجزرة غزة قرينتيها في سوريا أو العراق مثلاً، لكن الأخيرتين لم تجريا على وقع جلسات تطبيع مع المجزرة في دوائر صناعة القرار في الغرب.

نعم آلة الحرب الإسرائيلية تتحرك اليوم في غزة بدعم من أميركا، ولكن أيضاً برعاية جزء كبير من الدول الأوروبية، وبانعدام حساسية جزء من العرب حيال الظلامة الفلسطينية. هذا العالم يتجاهل حقيقة أن الفلسطينيين، ومنذ الانتفاضة الثانية كانوا عرضة لانتهاكات حكومات اليمين الإسرائيلي المتتالية.

من يقول اليوم أن "حماس" ضد السلام، يضرب صفحاً عن ممارسات إسرائيلية كانت أشد وضوحاً في رفض السلام وفي استدراج العنف. ضم القدس وتوسيع البؤر الاستيطانية في الضفة الغربية وإحكام الحصار على غزة ومصادرة المنازل وقتل الصحافيين، كل هذه الممارسات سبقت 7 تشرين الأول/ أكتوبر، وإدانة عملية غلاف غزة من دون النظر إلى مقدماتها ينطوي على تمييز في الانحياز إلى الضحية أياً كانت هويتها.

واليوم، وتحديداً ليلة السبت- صباح الأحد، عُزل القطاع عن العالم. قطعت الانترنت، وطبعاً الكهرباء والماء والوقود، وأتيحت للطائرات الحربية الإسرائيلية أن تقتل من دون النقل المباشر، والمصادفة أن ذلك جرى على وقع جلسة للجمعية العامة للأمم المتحدة رفضت فيها واشنطن قراراً بهدنة إنسانية!.

هذا بالإضافة إلى عناصر أخرى في المشهد تؤكد أن المرتكب ليست تل أبيب

لوحدها، فقد تزامن ذلك مع قرارات لمؤسسات دولية مانحة بوقف تمويل مشاريع إنسانية فلسطينية، وبتشكيك بهوية الضحية وبأرقام الجريمة.

ثم أن مسارعة واشنطن إلى تبني الرواية الإسرائيلية وتشكيكها بأرقام الضحايا مثلاً، كان بمثابة شد عزيمة نتنياهو على مزيد من القتل، وهنا نتحدث عن المدنيين، وليس غير المدنيين.

ما يجري في غزة لم يعد يحتمل تأويلاً آخراً غير أننا حيال عملية تطهير القطاع من سكانه. من يبقى على قيد الحياة عليه أن يشعر أن هذه الأرض لا تصلح لمواصلة الحياة فيها. عليه أن يوقن أن أحداً لا يريده أن يبقى في مدينته أو مخيمه أو مزرعته. والأشد قسوة أن أحداً لم يعطه خريطة نزوح أو لجوء أو نجاة. عقاب رهيب ليست حماس المستهدفة به، بل الفلسطينيون العزل والمحاصرون منذ ما يزيد عن 17 عاماً!.

قبل أشهر قليلة، وفي مؤتمر صحافي له، رفع نتانياهو خريطة إسرائيل التي لا أثر فيها لدولة فلسطينية، وقال إن التطبيع مع الدول العربية لن تعيقه الضغوط الفلسطينية. العالم الذي يقف إلى جانبه اليوم في حربه على أهل غزة، لم يستعد هذا المشهد في قوله إن "حماس" عقبة أمام السلام يجب إزالتها. العقبة الفعلية أمام السلام هي إسرائيل، وما يجري اليوم ليس "إزالة حماس"، انما إزالة سكان القطاع.

ازدواجيّة المعايير...
أوروبا التي "تحتار" أمام مآسينا

التاريخ: 2023/10/19

المصدر: موقع درج

الكاتب: ايلي كلداني

موجز المقال:

يعيش العالم اليوم ازدواجيّة المعايير أو ما يُعرف بالإنكليزية بـ Double Standards، المصطلح الوحيد الذي ينطبق على ما تختبره أوروبا على وجه الخصوص، التي تقدم نفسها على أنَّها حامية حقوق الإنسان والمدافعة عن الإنسانيّة، أو هذه على الأقل الصورة التي تريد أن تظهر بها.

حيث تتبنى جمعيّة حملة لجمع تبرعات للاجئة مصابة بالسرطان، يرافقها التشديد على وحشيّة المعتدي الروسي الذي يحرم المرأة من علاجها، لكن يعم الصمت عندما تطالب إسرائيل بإخلاء مستشفيات من مرضى السرطان ليموتوا بصمتٍ وألم. كما تستقبل أوروبا ملايين النازحين الأوكران مقدمةً لهم كل التسهيلات، وفي المقابل يموت اللاجئون من أفغانستان والعراق وسوريا وأفريقيا من الصقيع والبرد والأمراض على مداخل أوروبا. ازدواجية المعايير أن يأتي الأوروبي إلى بلادنا ليعلمنا القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان ويعطينا الأمثلة ويخبرنا كيف للعالم أن يكون مكانًا أفضل، لكنه اليوم، ونحن بأمس الحاجة الى تطبيق هذه القوانين، يصبح متريثًا وعليه أن يستمع الى كل جوانب القصة.

أصل المقال:

ازدواجية المعايير أن ترسل مليار دولار إضافية إلى أوكرانيا لتغطية الحاجات الإنسانية خلال فصل الشتاء، وأن يكون العجز مليار دولار في مهمتك الإنسانية في الصومال. في تقرير نشرته منظمة "أطباء بلا حدود" بعنوان" أوكرانيا: حرب المعايير الإنسانيّة المزدوجة، 5 أمثلة"، نقرأ أن اهتمام وسائل الإعلام والتغطية الإعلامية طوال الأشهر الأولى من الحرب في أوكرانيا كانا كبيرين مقارنة بقضايا وأزمات أخرى تم تجاهلها.

المقال: ازدواجية المعايير يعني أن تتبنى جمعية حملة لجمع تبرعات للاجئة مصابة بالسرطان، يرافقها التشديد على وحشية المعتدي الروسي الذي يحرم المرأة من علاجها، لكن يعم الصمت عندما تطالب إسرائيل بإخلاء مستشفيات من مرضى السرطان ليموتوا بصمت وألم.

يعيش العالم اليوم ازدواجية المعايير أو ما يُعرف بالإنكليزية بـ Double Standards، المصطلح الوحيد الذي ينطبق على ما تختبره أوروبا على وجه الخصوص، التي تقدم نفسها على أنها حامية حقوق الإنسان والمدافعة عن الإنسانية، أو هذه على الأقل الصورة التي تريد أن تظهر بها.

لن نغوص في تاريخ استعمال هذا المصطلح لأن شرحه يطول، لكنه ببساطة "تطبيق مجموعة مبادئ مختلفة لمواقف مماثلة، أي هناك مفاهيم معينة مقبول تطبيقها على مجموعة واحدة من الأشخاص، ولكنها تعتبر غير مقبولة – محرمة – عند تطبيقها على مجموعة أخرى". يتضح الأمر على سبيل المثال، حين نقوم بمقارنة بسيطة بين رد الفعل الأوروبي إزاء ما يحصل في فلسطين ومقارنته بما يحصل في أوكرانيا. تكفي مقارنة تصريحات رئيسة المفوضية الأوروبيّة أورسولا فون دير لاين التي وصفت الحرب الروسية على أوكرانيا بأنها إرهاب، كما صنفت الهجمات الروسية على البنى التحتية

المدنية وقطع المياه والكهرباء والتدفئة عن الرجال والنساء والأطفال على رغم الشتاء البارد، بجرائم حرب خصوصاً، ولكنها لم تعلق على وصف وزير الدفاع الإسرائيلي سكان غَزة بـ"الحيوانات البشرية" وتهديده بقطع الوقود والغذاء والمياه عن مليوني فلسطيني والتهديد بتهجيرهم.

أكدت فون دير لاين "وقوف أوروبا الى جانب إسرائيل في هذه المأساة"، وازدادت حدة التصاريح بعد إعلان الاتحاد الأوروبيّ أنه بصدد إيقاف المساعدات التنموية للفلسطينيين، التي تبلغ قيمتها 730 مليون دولار، الأمر الذي زاد من موجة الارتباك والانقسام في المواقف الأوروبيّة، القرار الذي سرعان ما تم التراجع عنه بعد تعبير عدد من الحكومات الأوروبيّة عن معارضتها هذا القرار.

ازدواجية المعايير، وإن كانت مفهومة في السياسة وذلك نظراً الى تداخل العوامل الاقتصاديّة والتجارية والمصالح الدولية، تبقى مستغربة لدى المنظمات والجمعيات الإنسانيّة وحتى الشعوب. هذه المنظمات التي سارعت إلى التحذير من الحرب الروسية على أوكرانيا والتبعات الإنسانية لهذه الحرب حتى قبل حصولها بأيام عندما كان هناك مجرد حديث عن احتمال وقوع حرب، هذه المنظمات نفسها انتظرت أياماً لإصدار بيانات عما يحصل في غزة. بعض تلك البيانات كُتب بلغة محايدة تماماً، الى درجة يصعب فهم المغزى منها من دون تحديد مسؤوليات، بعكس بياناتها في أوكرانيا التي كانت تسارع الى توثيق الانتهاكات، وترفع الصوت عالياً حتى عندما يكون الحدث بسيطاً، إذ كانت تتم الإضاءة عليه كخرق كبير لقوانين الحرب من جهة روسيا.

ازدواجية المعايير أتذكرها جيداً حين زار وفد دولي وممثلون عن المنظمات الدولية مركز إيواء للاجئين الأوكران، وبكوا عند سماع قصص الأطفال عن أصوات الحرب وعن فقدانهم ألعابهم وعن اشتياقهم لآبائهم – لا أقول ذلك تهكماً أو أحاول التقليل من هذا المصاب أو مقارنة حرب بحرب- أذكر هذه الحادثة للإشارة إلى سكوت هؤلاء الموفدين أنفسهم عما يحصل في غزة.

أتذكر جَيداً صراخ أحد هؤلاء "الإنسانيين" حين خرج من إحدى الجلسات

لأنه لم يعد يحتمل الاستماع الى مآسي الحرب، خرج صارخاً: "لا ينبغي لأيّ طفلٍ أن يرى ما رأوه على الإطلاق". منذ بدء الحرب على غَزة، أدخل يومياً الى صفحة هذا "الإنساني"، ولا أراه مهتماً لما يعيشه أطفال غزة. هو مهتم أكثر بتفادي الخسائر من الجانبين. ليس مهتماً بأشلاء أطفال تناثرت على جدران مستشفى أو طفل يرتمي في أحضان والدته المقتولة أمامه، يريد فقط تفادي الخسائر، قصة الطفل الأوكراني أبكته ولكن أشلاء طفل فلسطيني اعتبرها "خسائر".

يعيش العالم اليوم ازدواجية المعايير أو ما يُعرف بالإنكليزية بـ Double Standards، المصطلح الوحيد الذي ينطبق على ما تختبره أوروبا على وجه الخصوص، التي تقدم نفسها على أنها حامية حقوق الإنسان والمدافعة عن الإنسانية، أو هذه على الأقل الصورة التي تريد أن تظهر بها.

ازدواجية المعايير تتّضح عندما ينهار زملاؤك في العمل لمشاهد صاروخ أصاب شرفة (ولحسن الحظ لم يصب أحداً بأذى)، وتتناقص إنتاجيتهم ويجلسون طوال اليوم في المكتب متوتّرين معلنين "موت الإنسانيّة"، لكنهم في الوقت ذاته يتصلون لنصحي بالتزام الحياد وألّا أنسى أني عامل في المجال الإنساني ويجب ألّا أكون طرفاً أو متحيزاً الى أحد جانبي "الصراع"، بالنسبة إليهم "لم تمت الإنسانيّة" عند قصف مستشفى وتجميع بقايا الجثث بأكياس بلاستيكية.

تتضح ازدواجيّة المعايير عندما تشاهد أشخاصاً يبررون حق شعب بأرض، لأن أحد الآلهة وعد نبياً بـ"أرض ميعاد"، لكنهم يتوجسون من مقاومة شعب لمحتلّه، فقط لأن قتلى هذا الشعب يصرخون "الله أكبر" عند موتهم.

ازدواجية المعايير يعني أن تتبنى جمعية حملة لجمع تبرعات للاجئة مصابة بالسرطان، يرافقها التشديد على وحشية المعتدي الروسي الذي يحرم المرأة من علاجها، لكن يعم الصمت عندما تطالب إسرائيل بإخلاء مستشفيات من مرضى السرطان ليموتوا بصمت وألم.

ازدواجية المعايير هي بالسماح لآلاف الأوروبيين بالتظاهر أمام السفارات الروسية

وطلائها بالأحمر للتنديد بالحرب الروسية على أوكرانيا. وفي المقابل، مُنع أي شكل من التضامن مع فلسطين ومُنع الناس من الاقتراب من السفارات الإسرائيلية.

ازدواجية المعايير أن تستقبل أوروبا ملايين النازحين الأوكران مقدمة لهم كل التسهيلات، وفي المقابل يموت اللاجئون من أفغانستان والعراق وسوريا وأفريقيا من الصقيع والبرد والأمراض على مداخل أوروبا. ازدواجية المعايير أن يأتي الأوروبي إلى بلداننا ليعلمنا القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان ويعطينا الأمثلة ويخبرنا كيف للعالم أن يكون مكاناً أفضل. لكنه اليوم، ونحن بأمس الحاجة الى تطبيق هذه القوانين، يصبح متريثاً وعليه أن يستمع الى كل جوانب القصة.

ازدواجية المعايير أن ترسل مليار دولار إضافية إلى أوكرانيا لتغطية الحاجات الإنسانية خلال فصل الشتاء، وأن يكون العجز مليار دولار في مهمتك الإنسانية في الصومال. في تقرير نشرته منظمة "أطباء بلا حدود" بعنوان" أوكرانيا: حرب المعايير الإنسانيّة المزدوجة، 5 أمثلة"، نقرأ أن اهتمام وسائل الإعلام والتغطية الإعلامية طوال الأشهر الأولى من الحرب في أوكرانيا كانا كبيرين مقارنة بقضايا وأزمات أخرى تم تجاهلها.

يضيف التقرير أيضاً، أن الاهتمام الدولي اختفى فيما يخص مآسيَ أخرى تحصل في جميع أنحاء العالم. أعطى التقرير مثالاً عن الأزمة في أفغانستان، والتي اختفى الحديث عنها في وسائل الإعلام على الرغم من تدهور الوضع الإنساني في البلاد إلى حد كبير. قارن التقرير أيضاً بين أعداد القتلى في أوكرانيا الذي بلغ بحسب الأمم المتحدة 5827 قتيلاً، بينما في إثيوبيا هناك ما يقارب نصف مليون قتيل بسبب الحرب منذ أيلول/ سبتمبر 2022.

أمر آخر تطرق إليه التقرير، وهو الازدواجية في التعامل مع اللاجئين الأوكران الذين لم يُنظر إليهم باعتبارهم يشكلون "مخاوف أمنية"، أو "حاملين للأمراض"، أو "مهاجرين اقتصاديين يبحثون عن الفرص" كما يتم تصوير

اللاجئين الفارين من أماكن صراع أخرى. ازدواجية المعايير ظهرت أيضاً في الاستجابة الإنسانيّة من أجل أوكرانيا، إذ اعتبرتها الأمم المتحدة واحدة من الأكبر والأسرع والأكثر سخاء من حيث التمويل، الذي بلغت قيمته تسعة نداءات سابقة أطلقتها الأمم المتحدة لحالات طوارئ أخرى.

استشهد التقرير بكلام منسق الشؤون الإنسانية السابق للأمم المتحدة مارك لوكوك، الذي قال إن "تحويل المساعدات إلى أوكرانيا سيؤدي إلى تفاقم الوضع في أماكن أخرى ذات احتياجات إنسانية". في مقابل هذا التمويل السخي لأوكرانيا حيث هناك 15.7 مليون شخص محتاج، تقلّص تمويل استجابات في مناطق أخرى في العالم مثل سوريا والمناطق ذات الصلة بأزمتها، حيث هناك 34.1 مليون شخص محتاج، وبلغ العدد 30.1 مليون في أفغانستان، و 29.4 مليون في جمهورية الكونغو الديمقراطية، و 25.9 مليون في إثيوبيا.

أشار التقرير أيضاً، الى أن حماية المدنيين في أوقات النزاع المسلّح تتطلب أن يُدعم حق السكان في البقاء بالقرب من منازلهم قدر الإمكان، كما لهم الحق في المغادرة، منتقداً عمليات الإجلاء وبخاصة تلك التي قام بها الروس، إذ نقلوا المدنيين الى مناطق تحتّلها روسيا أو إلى روسيا نفسها.

كذلك، تطرق التقرير الى استهداف المرافق الصحية وقصف المستشفيات، إذ أبلغت منظمة الصحة العالمية عن وقوع 503 هجمات على مرافق الرعاية الصحية، أدت إلى مقتل 100 شخص وإصابة 127 آخرين، وتصدرت هذه الهجمات الأخبار مقابل تعتيم على استهدافات أخرى لمستشفيات حصلت في سوريا وإثيوبيا.

المعايير المزدوجة لا تكمن فقط، حسب التقرير، في التغطية الإعلامية لحوادث استهداف المستشفيات في أوكرانيا، بل في كيفية تصوير التفجيرات واعتبارها "متعمدة، وجرائم حرب"، بينما وفي صراعات مسلحة أخرى، هناك حالات لا تتم فيها إدانة هذه الهجمات بشدة، بخاصة إذا كان مرتكبوها متحالفين مع الغرب،

مع تطبيع الخطاب لخطأ محتمل، أو حتى تحميل إدارة المستشفى المسؤولية، وهذا ما حصل بالفعل عند استهداف إسرائيل مستشفى المعمدانية في غزة.

في ظل هذا الجنون الذي يعيشه العالم منذ أسبوعين، من الجيد العودة إلى القانون الدولي الواضح في تعبيره عن حق الأشخاص الخاضعين للاحتلال بالمقاومة عبر استخدام أي وسيلة متاحة لهم لحماية أنفسهم. هذا القانون الدولي الذي تمسكت به أوروبا ودعمت المقاومة الأوكرانية بالمال والعتاد في وجه الاعتداء الروسي، تقوم اليوم بالتغاضي عنه، وتدعم الفصل العنصري الذي تمارسه إسرائيل، من دون أن تطرح سؤالاً حول "حق الدفاع عن النفس" الذي ترددده إسرائيل، والذي تقصف غزة باسمه.

حرية زائفة..
كيف فضحت غزة نفاق النخب الثقافية الغربية؟

التاريخ: 2023/10/30

المصدر: موقع الميادين

الكاتب: خلف جابر

موجز المقال:

كيف كشفت حرب الإبادة الإسرائيلية في غزة نفاق النخب الثقافية الغربية وزيفها؟

أولى شرارات الحرب التي طالت الوسط الثقافي كانت يوم 14 أكتوبر، حين أعلن «معرض فرانكفورت الدولي للكتاب» انحيازه إلى الكيان الصهيوني وسياساته وجرائمه على حساب الجانب الفلسطيني، إذ قرر إلغاء حفل تكريم الكاتبة الفلسطينية عدنية شبلي، عن روايتها «تفصيل ثانوي»، المقتبسة من واقعة حقيقية، والتي تعيد توثيق اغتصاب امرأة بدوية وقتلها في النقب، عشية النكبة الأولى على يد كتيبة صهيونية وهو ما اعتبر «فضيحة للغرب، الذي ينادي بحرية زائفة، تقتصر على من هم في معسكره فقط».

وقد تم تسليط الضوء على مدى تناقض الغرب في التعاطي مع القضايا العربية، واصفًا وسائل الإعلام العالمية بأنها انتقائية ومؤيدة لـ «إسرائيل»، مضيفًا: «لقد كنت وسأظل من أشد المؤيدين للقضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في استعادة دياره وأراضيه، التي

نُهبت بعنف على مر التاريخ. إن السياسات العنصرية والاستعمارية التي تنتهجها حكومة نتنياهو تشكل جذور حالة الحرب التي تبدو أبدية، والتي نجد أنفسنا فيها الآن، الأمر الذي أدى إلى خسارة مأساويّة لآلاف من أرواح المدنيين، بمن في ذلك النساء والأطفال الأبرياء».

الكتاب الإسرائيليون مُعينين لآلة القتل العسكرية، ربما لأن لبعضهم تاريخًا إجراميًا يفوق منجزه الأدبي، ومنهم الكاتب الإسرائيلي عزرا ياخين، جندي الاحتياط، وصاحب الأعوام الـ 95. فقبل تلك الأعوام، كان هو أحد أفراد عصابة «شتيرن»، التي ارتكبت مذبحة دير ياسين عام 1948، ورأيناه بعد تلك الأعوام، في مقطع فيديو، مرتديًا بدلته العسكرية، عجوزًا متهالكًا، لكنه لم يتخلص بعد من دمويته.

عبر مقطع الفيديو المتداول، وجه عزرا ياخين رسالة إلى جيش الاحتلال. كانت رسالته تقطر دمًا فلسطينيًّا، قال فيها: «اقطعوا دابرهم قدر ما تستطيعون، حتى لا يبقى لهم ذكر، لا ذكر لهم ولا لأمهاتهم ولا بناتهم ولا أطفالهم». كما كشف أن اعتبار وزير الحرب الإسرائيلي الفلسطينيين «حيوانات بشرية» هو موقف صهيوني راسخ، أكّده ياخين عبر قوله إن «هؤلاء الحيوانات لا ينبغي لهم أن يعيشوا».

أصل المقال:

نيران الحروب لا تعرف حدوداً بعينها، فعندما تستعر تأكل الأخضر واليابس، حتى إنها تمتدّ إلى خارج ميادين القتال، ولا سيما إن كانت حرباً على مدنيين عزل، مثل التي يشنها جيش الاحتلال الإسرائيلي على أهل غزة، مستهدفاً منازلهم وأحياءهم، ثم يصبح السقف الذي ينام تحته الأهالي أقرب أدوات العدو إلى قتلهم، فلا يتطلب إزهاق أرواح الآلاف من الأطفال والنساء سوى بإلقاء مزيد من القنابل على رؤوسهم، أو إرسال زخات إضافية من الصواريخ.

تتحرك الحرب في ميادين أخرى، بخلاف العسكرية التي يقودها الجنرالات. فهناك الحرب الإعلامية التي تشهدها محطات الأخبار ووسائل التواصل الاجتماعي، وأيضاً تحركات القوى الناعمة لدى الطرفين، بما يملكانه من تأثير في الناس، سواء كانوا مثقفين أو أدباء أو فنانين، وأيضاً استخدام الفعاليات المتعلقة بهم، من المعارض والحفلات، في قمع طرف على حساب الآخر.

معرض فرانكفورت ينحاز إلى «إسرائيل».. وإيطاليا تعاقب باتريك زكي

أولى شرارات الحرب التي طالت الوسط الثقافي كانت يوم 14 تشرين الأول/أكتوبر 2023، حين أعلن «معرض فرانكفورت الدولي للكتاب» انحيازه إلى الكيان الصهيوني وسياساته وجرائمه على حساب الجانب الفلسطيني، إذ قرر إلغاء حفل تكريم الكاتبة الفلسطينية عدنية شبلي، التي كان من المقرر الاحتفال بها خلال فعالياته يوم 20 من الشهر نفسه، لتتسلم جائزة «LiBeraturpreis» من جمعية LitProm، عن روايتها «تفصيل ثانوي»، المقتبسة من واقعة حقيقية، والتي تعيد توثيق اغتصاب امرأة بدوية وقتلها في النقب، عشية النكبة الأولى على يد كتيبة صهيونية.

إلغاء الاحتفال بالكاتبة الفلسطينية كان بمثابة القنبلة التي أُلقيت على

الوسط الثقافي العربي، إذ سرعان ما أعلن كثيرون من الكتاب تضامنهم مع شبلي، مؤكدين أن قرار المعرض «فضيحة للغرب، الذي ينادي بحرية زائفة، تقتصر على من هم في معسكره فقط»، وبينهم الكاتبة السورية رشا عباس، والكاتب الجزائري سعيد خطيبي، والكاتب المصري هيثم الورداني، والسوري محمد العطار، والمصري شادي لويس، الذي رأى أن «إلغاء تسليم جائزة عدنية شبلي دليل نهائي على تواطؤ المعرض وموقفه الاستعماري والعنصري، ومشاركته المباشرة في إخراس أصوات الفلسطينيين».

أيضاً، أعلن «اتحاد الناشرين المصريين» رفضه مواقف معرض فرانكفورت، وتضامنه الكامل مع الشعب الفلسطيني، داعياً إلى عدم المشاركة العربية في المعرض. وهي الدعوة التي أيدها محمد رشاد، رئيس «اتحاد الناشرين العرب»، مؤكداً أسفه العميق لتصريحات رئيس المعرض يورغن بوس، والتي عكست موقفه المنحاز إلى الكيان الصهيوني.

لم يكن موقف منظمي معرض فرانكفورت تجاه شبلي هو الموقف الوحيد المتطرف، والذي طال كاتباً عربياً، من جراء موقفه مما يحدث في غزة. كذلك الأمر بالنسبة إلى الباحث المصري باتريك زكي، الذي، بعد سفره إلى روما لإصدار كتاب جديد ألّفه بعد إطلاق سراحه من السجن في مصر، فوجئ بإلغاء جميع فعاليات كتابه في المدينة الإيطالية، وأيضاً إلغاء دعوته إلى افتتاح «مهرجان بريشيا للسلام». كما اعتذر إليه مقدم برنامج شهير إيطالي عن حلقة كان سيحل فيها ضيفاً، بعد أن نشر زكي تغريدة في موقع «X» وصف فيها نتنياهو بـ«القاتل المتسلسل».

وأشار زكي إلى مدى تناقض الغرب في التعاطي مع القضايا العربية، واصفاً وسائل الإعلام العالمية بأنها انتقائية ومؤيدة لـ «إسرائيل»، مضيفاً: «لقد كنت وسأظل من أشد المؤيدين للقضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في استعادة دياره وأراضيه، التي نُهبت بعنف على مر التاريخ. إن السياسات العنصرية والاستعمارية التي تنتهجها حكومة نتنياهو تشكل جذور

حالة الحرب التي تبدو أبدية، والتي نجد أنفسنا فيها الآن، الأمر الذي أدى إلى خسارة مأسَوية لآلاف من أرواح المدنيين، بمن في ذلك النساء والأطفال الأبرياء».

أمّا بعض الكتاب العرب فلجأ إلى خطوات استباقية، وبين هؤلاء الشاعرة المصرية فاطمة قنديل، التي اعتذرت عن أمسيتين في «المركز الثقافي الفرنسي» في الـ 4 والـ 5 من تشرين الثاني/نوفمبر المقبل، لتقديم عرض من إخراج هنري جول جوليان، عن كتابها «أقفاص فارغة» الفائز بجائزة نجيب محفوظ، بكلمات وأداء من الشاعرة والكاتبة المصرية.

وكتبت «قنديل» في صفحتها في «فيسبوك»: «كان من المقرر أن أشارك في هاتين الأمسيتين الشهر المقبل، وأنا هنا أعلن انسحابي من هذه المشاركة، فلن أسمح لنفسي ولا لشعري بأن يكونا ستاراً للاتحاد الأوروبي الذي يدعم جرائم إبادة الشعب الفلسطيني... ويدعم جرائم الحروب التي تُرتكب في أرضنا بدم بارد».

استشهاد التشكيلية هبة زقوت وابنها في قصف صهيوني

بتاريخ 13 تشرين الأول/أكتوبر 2023، أي في سابع أيام «طوفان الأقصى»، طالت يد القتل الصهيونية الفنانة التشكيلية هبة زقوت. قطفت روحها المفعمة بألوان الزيتون الخضراء، وبشمس فلسطين التي تضفي على لوحاتها سخونة الأحمر القاني، وإن كان ثمة ما ينبئك بأن تلك الحمرة، التي تخلق بهجة خفية في لوحاتها، هي دماء شهداء الأقصى عبر تاريخ المدينة الحزين.

استشهدت زقوت مع المئات من الفلسطينيين. قتلتها الصواريخ التي قصفت آلاف المنازل فدمرتها، وحصدت أرواح سكانها، ولم تبق على الأطفال والنساء. استشهدت زقوت مع ابنها تحت القصف، وربما لأن البيوت «تموت إذا خلت من ساكنيها»، كما قال محمود درويش، لم يحتمل فراقهما فانهار هو الآخر.

عزرا ياخين لجنود الاحتلال: اقطعوا دابرهم!

عبر اختلاف مواقف ضحايا «طوفان الأقصى» من الكتّاب العرب، بين الاستشهاد والإقصاء، كان الكتاب الإسرائيليون مُعينين لآلة القتل العسكرية، ربما لأن لبعضهم تاريخاً إجرامياً يفوق منجزه الأدبي، ومنهم الكاتب الإسرائيلي عزرا ياخين، جندي الاحتياط، وصاحب الأعوام الـ 95. فقبل تلك الأعوام، كان هو أحد أفراد عصابة «شتيرن»، التي ارتكبت مذبحة دير ياسين عام 1948، ورأيناه بعد تلك الأعوام، في مقطع فيديو، مرتدياً بدلته العسكرية، عجوزاً متهالكاً، لكنه لم يتخلص بعد من دمويته.

عبر مقطع الفيديو المتداول، وجه عزرا ياخين رسالة إلى جيش الاحتلال. كانت رسالته تقطر دماً فلسطينياً، قال فيها: «اقطعوا دابرهم قدر ما تستطيعون، حتى لا يبقى لهم ذكر، لا ذكر لهم ولا لأمهاتهم ولا بناتهم ولا أطفالهم». كما كشف أن اعتبار وزير الحرب الإسرائيلي الفلسطينيين «حيوانات بشرية» هو موقف صهيوني راسخ، أكده ياخين عبر قوله إن «هؤلاء الحيوانات لا ينبغي لهم أن يعيشوا».

في مقطع الفيديو، وضع ياخين خطة إجرامية لجنود الاحتلال، ولكل يهودي، فدعا كل من لديه سلاح إلى أن يقتل جاره العربي، «فلن تنتظر أن يأتي إلى بيتك، بل ادخل منزله وأطلق النار عليه».

الكاتب الإسرائيلي، الذي كان أحد من شاركوا في مذبحة دير ياسين، التي تراوح عدد ضحاياها بين 250 و360 من الأطفال والنساء والعجزة، لم يشبع من الدماء بعد، وما زال يردد: «دمِّرْ وتَقَدَّمْ... دمِّرْ وتَقَدَّمْ، بالمدافع والقنابل، دمِّروا المنازل، دمروا منزلاً واقتحموا غيره، سنُفاجئهم حتى لا يعرفوا من أين أتت القذيفة، أو من أين أتت القنبلة».

مثقفو الغرب...
ما تبقى من المسؤولية الأخلاقية

التاريخ: 2023/10/31

المصدر: موقع القدس

الكاتب: رامي أبو شهاب

موجز المقال:

يضع الكاتب رامي أبو شهاب المثقف الغربي في محل المسؤولية تجاه ما يحدث من حوله، لكون الظروف التي تحيط به مؤاتية للتعبير فيما يحاط المثقف العربي بالتقييد السياسي وكم الأفواه. موضحًا أنّه دائمًا ما تبرز علاقة المثقف مع السلطة ضمن حالة سياقيّة تتصل بالمكان والزمان اللذين يحددان خصوصيته الحضارية. وحيث يرزح المثقف العربي، بحسب الكاتب، تحت نير منظومة قمعيّة لا تمكنّه من تعديل الرأي العام الذي يبدو غير متوفر في معظم البلدان العربيَّة؛ يتساءل عن دور المثقف الغربي.. غير المسكون بإكراهات واقعنا هنا، بالتوازي مع ادعاءات بتوفر مناخ حقيقي من الحرية، في حين أن القيم المؤسساتية تبدو أقل تدخلًا في تفكير المثقف، فالمثقفون الغربيون غير مسكونين بهذا القلق اليومي علاوة على حصار في قيم التعبير... فثمة فضاء أكثر صحية لممارسة المثقف دوره، وبالتحديد في ظل وجود أسئلة ومفاصل بخصوص ذلك، إذ تجعل من حقيقية هذا المثقف على المحك ضمن الظروف الراهنة.

ثم وصل الكاتب بالحديث عن مقولات تلاشي الاستعمار أو تصفيه

الأنظمة الكولونيالية ورآها محض هراء، حيث تنفيها الوقائع الآن على الأرض، فالغرب ما زال مؤمنًا بدوره الاستعماري عبر البحث عن مصالحه على حساب الدماء، وإبادة شعوب لا تنتمي إلى الطيف الغربي، ومن هنا، فإن على نقاد ما بعد الاستعمار، كما الأحرار من المثقفين الغربيين أن يبدؤوا بتوجيه النقد لسياسة بلدهم، أو البلدان التي تتّخذ من استخدام خطاب براغماتي مسكون بأيديولوجية بائدة، وفي حال تغييب المثقّف عن هذا النقد أو ممارسته، فإن المثقّف كما يرى جوليان بندا قد أصبح معنيًا بالمادي على حساب المعنوي بداعي الارتهان لمتطلبات المؤسسة.

أصل المقال:

دائما ما تبرز علاقة المثقف مع السلطة ضمن حالة سياقية تتصل بالمكان والزمن اللذين يحددان خصوصيته الحضارية، لكن تعريف المثقف بوصفه جزءاً من تمثيل دور رسولي قد يبقى أمراً قابلاً للكثير من الجدل، من حيث تحقيق المعيارية اللازمة، كون أي اهتزازات في تعريف المثقف، وممارسة دوره يمكن أن تعصف بهذا التعريف القيمي، ومن هنا نستحضر المقصد العميق لكتاب جوليان بندا «خيانة المثقفين» فيما يتعلق بدور المثقفين في عصره، فقد انتقد التخلي عن القيم من أجل خدمة الأهداف العملية، أو الواقعية المتصلة بنزعات قومية عمياء.

وعلى الرغم من أن حضور المثقف في السياق العربي قد يبدو قلقاً، وغير منجز نتيجة البيئة التي يتوفر عليها، والتي يمكن أن ننعتها ببيئة غير صحية بالكلية نتيجة غياب مناخات الديمقراطية، كما ارتفاع نسبة القمع، وصعوبات تتعلق بإكراهات تحقيق المصالح، كما معضلة تحصيل لقمة العيش نتيجة ارتباط المثقف بالسلطة، التي تتخذ من هذا البعد أداة من أدوات السيطرة على المثقف؛ بمعنى آخر غياب الاستقلالية التي تتيح نقد الممارسات، ما يجعل من وضع المثقف العربي بحاجة إلى الكثير من البحث

والتعديل، كونه يرزح تحت نير منظومة قمعية لا تمكنّه من تعديل الرأي العام الذي يبدو غير متوفر في معظم البلدان العربية التي لا تقيم وزناً لما تريده الشعوب، إنما هي تخضع لسلطة القوى الخارجية لا الداخلية، وبناء عليه، فإن هذا لن يؤدي إلى تغيير في قرارات السلطات التي تعمل لمصالح ذاتها، ومع أن هذه الأعذار تبدو واهية، لكنها حقيقة تستجيب لمنطق، ولا سيما في ظل وجود أزمات حضارية وقيمية وأخلاقية، لكن يمكن أن ننقل هذه المشكلة إلى تموضع المثقف الغربي، حيث تجعلنا نتساءل عن دور المثقف الغربي.. غير المسكون بإكراهات واقعنا هنا، بالتوازي مع ادعاءات بتوفر مناخ حقيقي من الحرية، في حين أن القيم المؤسساتية تبدو أقل تدخلاً في تفكير المثقف، فالمثقفون الغربيون غير مسكونين بهذا القلق اليومي علاوة على حصار في قيم التعبير ... فثمة فضاء أكثر صحية لممارسة المثقف دوره، وبالتحديد في ظل وجود أسئلة ومفاصل بخصوص ذلك، إذ تجعل من حقيقية هذا المثقف على المحك ضمن الظروف الراهنة.

ربما تكون الإشكالية في مرجعية الأكاديمي، إحدى أهم عوائق تمكن وعي المثقف من إدراك دوره وموضعه في نقد التوجهات السياسية نتيجة هيمنة الرؤية الحصرية لرؤية العالم، فثمة دائما العقل الأكاديمي الضيق، والمحصور، وإذا ما تجاوزنا هذا فإن واقع المثقف ضمن تعريفه المثالي يتقاطع مع مفهوم المثقف الرسولي، والثاني يبدو دوره أكثر حساسية، ففي ملاحظة وقائع ما يحصل من انحياز واضح من قبل الولايات المتحدة الأمريكية خاصة، كما الغرب عامة لإسرائيل – على مستوى السلطة – ما يضفي على هذه الوقائع الكثير من الأسئلة، فما يحصل الآن من إبادة شاملة تجاه شعب يبحث عن قيمة يقدسها الغرب (الحرية) يتجاوز الخلاف على قضايا لا تبدو على قدر كبير من الجدل؛ بمعنى أنها ليست خلاف حول المنظور أو السياسة التي نتعامل فيها مع قضايا داخلية أو أيديولوجية... إنما هي تقع في صلب الموقف الأخلاقي لا بمعناه الضيق فحسب، بل بمعناه العام كونها قيمة إنسانية على المثقف أن يلمحها، ولا تحتاج إلى الكثير من البحث، لكن تحتاج إلى شيء من الشجاعة.

وإذا كان بعض المثقفين يرون في وجود إسرائيل جزءاً من الوجود المُشرعن إمبريالياً... فإن هذا يمكن أن يقودنا إلى نزاعات أيديولوجية، لكنه في النهاية لن يتصل بما يحصل في إسرائيل من حيث إدانة سلوكها الإجرامي، كونها آلة حرب وإجرام وإبادة ... فثمة مواقف وقيم لا يمكن لاثنين أن يختلفا عليها.

وإذا كان المثقف غير قادر على تكوين فهمه الخاص تجاه بعض القضايا الإشكالية، فإن هذا يعني أن المثقف لا يمكن أن يتحقق على صعيد الممارسة، فالمثقف ينبغي أن يكون متعالياً على الذاتي، علاوة على التعالق العضوي لمصلحة تحقيق أهداف كيانات على حساب المبادئ الإنسانية، ومن ذلك ما نراه من جريمة أخلاقية ترتكبها إسرائيل بدعم من الساسة الغربيين، وبوجه خاص المؤسسة القيادية في الولايات المتحدة، وأوروبا؛ ولهذا ينبغي علينا أن نتساءل عن دور المثقفين الأمريكيين، أو الغربيين في إثارة هذه الأسئلة، وتوجيه نقد لصناع السياسة، ولاسيما حين نرى هذا القدر الكبير من تلاشي ما تدعيه الدول الغربية من خطابات إنسانية ذات منظور مزدوج، فضلاً عن عمليات التضليل الإعلامي؛ ما يعني تراجع الغرب على المستوى الحضاري الأخلاقي، فقد أخذت تقترب من واقع العالم العربي، حيث القيادة منفصلة عن شعوبها، وكل هذا يتعلق بنفي المعنى الإنساني عن الآخر غير المتصل بالتعريف الغربي؛ ولهذا نرى أن هذا الدعم لإسرائيل التي تقوم بجرائم حرب على الملأ، بل تحقق أرقاماً قياسياً بخصوص قتل الأطفال، يعني دعماً يتعلق بمنظور استعماري يكرس وجود إسرائيل كي تكون الامتداد الذي على الغرب صونه لأهداف جيوسياسية محضة؛ بغض النظر عن المعنى القيمي، وموقف شعوبها.

ولعل هذا يؤكده ما بايدن الذي قال، إذا لم يكن هذا الكيان موجوداً فإنه ينبغي أن نوجده، وبناء عليه، فإن مقولات تلاشي الاستعمار أو تصفيه الأنظمة الكولونيالية بات محض هراء، بل تنفيه الوقائع الآن على الأرض، فالغرب ما زال مؤمناً بدوره الاستعماري عبر البحث عن مصالحه على حساب الدماء،

وإبادة شعوب لا تنتمي إلى الطيف الغربي، ومن هنا، فإن على نقاد ما بعد الاستعمار، كما الأحرار من المثقفين الغربيين أن يبدؤوا بتوجيه النقد لسياسة بلدهم، أو البلدان التي تتخذ من استخدام خطاب براغماتي مسكون بأيديولوجية بائدة، وفي حال تغييب المثقف عن هذا النقد أو ممارسته، فإن المثقف كما يرى جوليان بندا قد أصبح معنياً بالمادي على حساب المعنوي بداعي الارتهان لمتطلبات المؤسسة. وهذا يقترب من تجميد صمته لحساب السياسي لا لحساب الفكري أو المعنوي، وبذلك فإن هذا ينفي معنى المثقف بالكلية، فليس المثقف ذلك العقل الساذج الذي ينخدع بمظاهر السياسية وألاعيبها، وأن يخضع لمنظومة من الضغط بداعي وجود جماعات ضغط، إنما هو شخص لديه مرجعية معرفية، وقيم أخلاقية ينطلق منها.

وإذا كان بعض المثقفين يرون في وجود إسرائيل جزءاً من الوجود المُشرعن إمبريالياً... فإن هذا يمكن أن يقودنا إلى نزاعات أيديولوجية، لكنه في النهاية لن يتصل بما يحصل في إسرائيل من حيث إدانة سلوكها الإجرامي، كونها آلة حرب وإجرام وإبادة ... فثمة مواقف وقيم لا يمكن لاثنين أن يختلفا عليها.

ولعل الخلاصة النهائية لدور المثقف ترتبط بأن هذا العالم حين يقوده سياسون لا يمتلكون ناصية الحكمة (نموذجه أمريكا – فرنسا – ألمانيا- إنكلترا) مع غياب منظور قيمي يعتمد السلطة بمعزل عن المبادئ، فإن على المثقف أن يمارس دوره في النقد، وإلا فإن العالم سوف يتهاوى، ولاسيما حين يتخلى قادة الفكر في العالم عن القيام بدورهم، انطلاقاً من معايير محددة تتصل بالموضوعية والقيم الأخلاقية لا البحث عن توافق الأيديولوجيات التي ستؤدي إلى المزيد من الدمار قد يطال الغرب عينه الذي يتهاوى حضارياً، بعد أن تراجعت القيم التي يتغنى بها.

إننا لا نمارس عملية مجانسة ووضع الغرب في صورة سلبية بالكلية، فثمة جوانب مضيئة، لكن تكمن المشكلة بأن تعاطيه مع كل ما يمكن خارج وجوده يبقى غير مؤنسن؛ ولهذا فإن خطابه يبدو أقرب إلى تكريس كل ما حاول

أن ينفيه أو ينقيه من أفكار ذات طابع أيديولوجي وعنصري، وهنا لا يمكن إلا أن نستذكر دور نعوم تشومسكي في ممارسة أكبر دور في تعرية الفظائع التي نتجت عن حرب فيتنام، وسياسات أمريكا، وانحيازها الأعمى لإسرائيل، حيث كان لهذا دور في تجييش الرأي العالمي الغربي والأمريكي، خاصة وقف حرب فيتنام، ومن هنا نتساءل عن دور المثقفين والأكاديميين الغربيين في نقد سياسات بلدانهم المشبوهة كولونياً، ومنع بلادهم من أن تضحي بقيمها الأخلاقية الباقية . إن وجدت - لصالح كيان طارئ لن يبقى وجوده منطقيا وقيمياً، وما يحصل الآن دليل على ذلك بأن هذا التشوه القيمي لن يستمر طويلاً.

أيها الغرب، جرائمك كثيرة

التاريخ: موقع على الطريق

المصدر: 2023/10/18

الكاتب: نصري الصايغ

موجز المقال:

بعد سردٍ تاريخيّ ووجداني حول فلسطين واضطهاد العرب لها ولقضيتها، يلجأ الكاتب إلى التأكيد أن «إسرائيل» لم تكن مشروعًا يهوديًا، بل مشروع غربي للتخلص من اليهود من المضطهدين من الثقافة القومية الأوروبية. «إسرائيل» ليست مشروعًا يهوديًّا بعنوان الصهيونية، بل هي اختراع غربي، وعناية بريطانية.

قبل العصر الاميركي، اجتاحت بريطانيا ثلاثة أرباع الكرة الأرضية وأخضعته للمملكة وكان أفدح ما ارتكبته هو وعد بلفور. فلتكن «إسرائيل» الولاية الغربيّة في قلب الجغرافيا العربية. حارب فيصل وبريطانيا وفرنسا الاحتلال التركي بنا.

في التاريخ الجديد، لا شيء جديد، الغرب هو هو، لم يتغير، وحده المشهد يتكرر. أميركا العظمى، المؤلفة من شتات أوروبي، والمطمئنة إلى إبادة سكان الأرض الأصليين، أنشأت مستعمراتها، وورثت أوروبا وأمجادها، ثم ألحقت الجميع بها. لم يعتدِ أحد على الولايات المتحدة الأميركية، ومع ذلك، فإنها، بلا أي سبب، غزت دولًا، وأطاحت بحكومات، ودمّرت مجتمعات، وعاقبت الأبرياء، وسحلت قوى الإنتاج، حوّلت الشعوب المغلوبة، إلى خدم ومجرد سلعة. لم توفر أميركا اللاتينية، بل وصلت

إلى الأطلسي وحدوده الشرقية. أي احتلت وأخضعت وألحقت دولًا وشعوبًا بآلتها المالية. لا دولة مرتكبة للجرائم كتلك التي نفذتها أميركا، حربان عالميتان بقيادتها، ارتكاب جريمة غير مسبوقة متمثلة بالقنابل ذرية على هيروشيما وناكازاكي، وقتل عشرات الآلاف من الأبرياء، أكرّر: الأبرياء جدًا.

هذا هو وجه الغرب "المؤمن" بألوهة المال، لا إله أقوى من الرأسمال. حصيلة حروب أميركا مذهلة، عددها 134 حربًا وهي مستعدة للمزيد. لذا، حضورها في أوروبا وازن، وحضورها في المحيطات مُباح، وأوامرها تُطاع.. و"إسرائيل" ولاية أميركية، غربية، بلغة عبرية.

أصل المقال:

كنتُ أرتكب الأحلام: فلسطين وحدها لم تدفعني إلى اليأس. لا شعب أو كياناً، يضاهي الإنسان الفلسطيني، لم أتعلم مواقفي من الكتب. فلسطين كتابي وانتمائي. إنما، في مسلسل البكاء والأحزان والخسران، صرتُ طافحاً بالانتماء إليها، في كل أحوالها وأهوالها وأحلامها. هذا نوعٌ من العذاب الضروري لعدم فقدان الأمل.

كنت فلسطينياً وإنما. وحدها، لها الحق في أن تأمرني. مراراً، نبّهَتني من اليأس. اليأس عدو التحرير والإرادة. أريد أن أرى فلسطين عن قرب. أريد أن أسبح في سمائها، في فورة الحرية. حفظتُ النصيحة، وترهبنت لخدمة القضية.. أريد أن أرى فلسطين عن قرب. أريد أن أسبح في سمائها، في فورة بساتينها، بعرق شعبها.. وكان أن حظيتُ بدعوة جاءتني بلا موعد. "غداً نذهب إلى الحدود. هل أنت جاهز؟". لا جواب. بسرية تامة. نقلوني إلى ضفاف فلسطين الشمالية. وهناك، تعرفت على أمومة فائقة. على جبال ناطقة، على احتلال وعلى جريمة مستدامة. جريمة تُزوّدني بقبضة وقلب ومواجع. لمرة أولى ووحيدة.

نبتت براعم أمل راسخ. أنا الآن إبن هذا الأمل.

فلسطين مراراً أسَرّتْ لي، تعلَّم. وأنا ما زلتُ أتعلّم. القهر وحده هو الذي يعلمني جديداً. سميّتُ فلسطين وطني. حبي لها مرهق. وأما عذابها فهو مخاض ولادة في غدٍ مديدٍ.

هل في هذا مبالغة؟ لست مسؤولاً عن ذلك. ولدت فلسطينياً بالانتماء. وموتي لن يدفن أملي بحريتها.

أما بعد؛ فإن غزة الصغرى، هي فلسطين الكبرى. تجرأت على المستحيل. "إسرائيل" هي الكيان الأعظم. هي "الدولة" التي تحظى بدعم القوى الدولية الجهنمية. فلسطين الوحيدة، في غزة عِزَتها، تتخطى القارة العربية التي تتربى على موتها وعجزها. أغنى بلاد عندنا، إنما؛ يا فقرنا، يا ذلنا، يا عارنا. قارتنا العربية ملجأ لشياطين المال وطغاة الحُكّام. "أمة عربية واحدة، ذات إخفاقات وانتهاكات واحدة". تُمارس الحضور البوليسي، خوفاً من الحرية. أنظمة العرب بلا استثناء كلها تخاف الحرية لأنها بالحرية.. تزول.

ماذا بعد؟ لا بد من العودة الى الروايات التاريخية والوقوف على عصور الجرائم الإبادية.. وفلسطين تنتمي إلى طقس المذابح.

"إسرائيل" ليست مشروعاً يهودياً بعنوان الصهيونية. هي اختراع غربي، وعناية بريطانية. الغرب ينوء بأبناء الثورات.

مراجعة الكاتب الفرنسي اليهودي/ جاك أتالي Les juifs et le monde et largent.

سيرة يهودية ناجحة وناجعة. في زمن الحكم العربي الإسلامي. عوملوا معاملة عادلة. التمايز الديني لم يكن مُحرجاً لأحد. الإسلام اعترف باليهودية والمسيحية. تفوق اليهود في التجارة. شبكة مصالحهم تبدأ من قندهار وصولاً إلى طنجة. وأكثر من ذلك. لا نعرف ظلماً أو مجازر بحق اليهود. وأحد أبرز الأدلة، أن قائد الجيوش العربية في إسبانيا، كان يهودياً. وبعد موته، عُيّن ابنه

قائداً.. مثلُ هذا لا نجده في بيئات غربية. الظلم الغربي مدرسة في الإجرام. قراءة تاريخ أوروبا يؤكد على عذاب وتعذيب وإجرام الغرب بحق اليهود. لم يتعرض اليهود في البيئات العربية إلى ظلم مستدام أو مؤقت، أما أوروبا العنصرية، فقد كانت تمارس اضطهاداً وقتلاً ونفياً وسبياً. اذن الغرب كان ينوء بمشكلة هو سببها. اليهود شُرّدوا، قُتلوا، نُهبوا، تبدّدوا، ظُلموا. كانوا كالطاعون. وصلت مواصيل الغرب إلى ارتكاب الإبادة. فرنسا المحتلة ساهمت بتزويد أدولف هتلر بقوافل يهودية سيقت إلى معسكر أوشفيتز في الحرب العالمية الثانية. لم يكن اليهود في أزمة، في فترات السلطة العربية، بل تبوأوا أعلى المراكز.

"أيها الغرب، تريد أن تتخلص من حثالة الدين اليهودي". راجع تاريخك.

ثم أن الغرب كان سيد الارتكابات. تذكّروا جيداً الإبادات التي نفذتها قوى الغرب، المدعية أنها تدافع عن عقيدة الإيمان. إيجاد "إسرائيل" كوطن لليهود، لم تكن الجريمة الأولى. من قبل، غزت جحافل "الهولاكو الغربي" القارة الأميركية. لم يحافظوا على أهلها. أبادوهم بالكامل. بالكامل. هناك جنس بشري أبيد على أيدي "حاملي الحضارة المنسية بهدف الإستحواذ على الأرض وما فيها". ممالك الغرب قامت بغزو قارة أخرى. سمّوها أستراليا. أوكلوا أمر القتل إلى مجرمي بريطانيا "العظمى". لا أعرف سبباً لهذا الغلو الغربي في معاملة "الأغيار". ثم توالت الغزوات الاستعمارية والإبادية. احتلوا الصين العظمى. أفدح حروبهم كانت ضد الصينيين، واسمها حرب الأفيون. ثم اعتدوا على أمة جليلة في تاريخ العالم. احتلوا الهند وحكموها بجزماتهم ونهبوها بحيث أن عدد القتلى جوعاً، لا عدَ له ولا نهاية.

في التاريخ الجديد، لا شيء جديداً. الغرب هو هو. لم يتغير. وحده المشهد يتكرر. أميركا العظمى، المؤلفة من شتات أوروبي، والمطمئنة إلى إبادة سكان الأرض الأصليين. أنشأت مستعمراتها. ورثت أوروبا وأمجادها. ثم ألحقت الجميع بها. لم يعتدِ أحد على الولايات المتحدة الأميركية. ومع ذلك،

فإنها، بلا أي سبب، غزت دولاً. أطاحت بحكومات، ودمّرت مجتمعات، وعاقبت الأبرياء، وسحلت قوى الإنتاج، حووَلت الشعوب المغوبة، الى خدم ومجرد سلعة. لم توفر أميركا اللاتينية. وصلت إلى الأطلسي وحدوده الشرقية. أي احتلت وأخضعت وألحقت دولاً وشعوباً بآلتها المالية. لا دولة مرتكبة للجرائم كتلك التي نفذتها أميركا. حربان عالميتان بقيادتها. ارتكاب جريمة غير مسبوقة. قنابل ذرية على هيروشيما وناكازاكي، وقتل عشرات الآلاف من الأبرياء، أكرّر: الأبرياء جداً.

هذا هو وجه الغرب "المؤمن" بألوهة المال. لا إله أقوى من الرأسمال. حصيلة حروب أميركا مذهلة. عددها 134 حرباً وهي مستعدة للمزيد. لذا، حضورها في أوروبا وازن. حضورها في المحيطات مُباح. أوامرها تُطاع.. و"إسرائيل" ولاية أميركية . غربية، بلغة عبرية.

أكرر. "إسرائيل" لم تكن مشروعاً يهودياً. هي مشروع غربي للتخلص من اليهود من المضطهدين من الثقافة القومية الأوروبية.

قبل العصر الاميركي، اجتاحت بريطانيا ثلاثة أرباع الكرة الأرضية وأخضعته لتاج جلالة الملكة وكان أفدح ما ارتكبته هو وعد بلفور. فلتكن "إسرائيل" الولاية الغربية في قلب الجغرافيا العربية. حارب فيصل وبريطانيا وفرنسا الإحتلال التركي بنا.

لا بد من موطىء قدم. هكذا كان. إحتل الفرنسيون الجزائر. شهداء بالملايين. إيطاليا المسيحية غزت ليبيا وألحقتها بها. تقسيم سوريا الكبرى إلى فتات دول: لبنان، جبل الدروز، وهبوا الإسكندرون لتركيا. إقامة مملكة تحت جناحهم في الأردن.. فتكوا بنا تقسيما وزعوا الفتنة في كل مجتمع. صنّفوا المواطنين وفق دياناتهم وطوائفهم وأروماتهم.

الخراب العربي. لم يكن بين العرب. وكلاء الغرب في هذه المنطقة، ساهموا في إضعاف أمة وبعثرتها وجعلها كيانات متذابحة. حروبنا الداخلية في كياناتنا كانت برعاية غربية.

باختصار "إسرائيل" مشروع غربي رأسمالي. هذا أولاً. من دون الغرب ودعمه تزول. لا ننسى أن فرنسا ديغول، "المعبود عربياً"، هي التي وهبت "إسرائيل" مفاعلاً نووياً. تعرضت مصر للعدوان الثلاثي بشراكة بريطانية وفرنسية. لبنان هذا المعتل والمنهك من زمن ولادته، هو هبة ملغومة للبنانيين. يا حرام. نقتتل نحن، لأن تحضير المقتلة تم في معاهدة سايكس بيكو.

السؤال الغبي المطروح: أين العرب؟ أين الحكومات؟ أين الدول؟ أين الشعوب؟

الجواب واضح وترجمته هي الآتية: لا شعور أو إحساساً بالمأساة الفلسطينية. لقد ذُبحت فلسطين مراراً. طاردوا شعبها في كل مكان. هجّروه. قتلوه في الأردن. منعوه من الإقامة المسلحة في سوريا. أدخلوه في آتون التناقضات الطائفية، إلى أن تم نفيهم إلى أبعد الأمكنة من فلسطين: تونس واليمن و.. المنافي البعيدة.

وعليه، فإن أعداءنا، وبكل أسف، هم مرجعياتنا. لبنان أكثر من نصفه مع أميركا. سوريا حلقة من العنف المحموم بقيادة اميركا وتركيا والممالك والإمارات. وهذه كلها تقيم تحت الإمرة الأميركية. لا تعجب إذاً من موقف الغرب الهستيري، ضد أصغر بقعة في العالم: قطاع غزة.

يا عالم العهر. إننا أبرياء. لم نؤذِ أميركا ولا فرنسا ولا بريطانيا ولا إيطاليا ولا كل زمرة الغرب التي وقفت بعنف إلى جانب "إسرائيل". شعب غزة لا يواجه "إسرائيل". إنه يواجه الأسياد الغربيين، وحلفاءهم من العرب، وهم كثر.

إني مؤمن بأن غزة أمة، لا بل طليعة أمة.. وللنص تتمة.

أصوات إسبانية حرّة: غزّة إذ تكشف ازدواجية الغرب

التاريخ: 2023/10/20
المصدر: العربي الجديد
الكاتب: جعفر العلوني

موجز المقال:

لم تعد الضحية الأُولى للحروب هي الحقيقة، بل هي الحرية. وفقًا لما أثبته العدوان الأخير على غزة أنَّ الضحية الأُولى لكلّ ما يحدث، حرية التعبير؛ تحديدًا هذه الحرية التي نهض عليها الغرب، والتي لم تعد موجودة فيه إلّا ما ندر. حيث يُؤسِّس الإعلام الغربي اليوم لفكرٍ يقوم على الاستباحة والتسويغ. الطامّة الكبرى أنَّ هناك في الغرب «مثقفين» لم يتردّدوا في إيجاد مختلف المسّوغات والأعذار لتبرير هذه الاستباحة ولتبنّي خطاب واحد لا غير، دون أن يطرحوا على أنفسهم أي سؤال موضوعي أو أخلاقي.

واستشهد المقال بما قالته الشاعرة والروائية الإسبانية يولندا سولير أونيس عن سرديات التشريد والهجرة، تلك التي طوّرتها في رواياتها، خصوصًا أنّها الآن تقدّم روايتها الجديدة التي تروي فيها موضوعات متعلّقة بالهجرة بين إسبانيا وأميركا اللاتينية. وما عبرت عنه الشاعرة الإسبانية كلارا خانيس التي لم تتردّد في التعبير عن استيائها من هذه الأزمة الحضارية التي يمرّ بها الغرب، وليس هذا التوجّه الإعلامي المهيمن إلا تعبيرًا عنها، إنّه توجّه يهدف إلى تشويه الحقائق. تقول

كلارا: «أنا قلقة من هذا العالم الغربي المليء بالأكاذيب والتلاعبات. كأنّهم يريدون أن يقولوا لنا إننا لا نعرف شيئًا عن الأحداث الجارية، إننا لا نعرف التاريخ، إنّهم يشوّهون حقيقة كل شيء.

كما لا يتردّد إغناسيو دي تيران، رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية في «جامعة مدريد المستقلة»، اليوم، واحدًا من أبرز المستعربين في إسبانيا وأوروبا، في وصف الغرب بأنه مستنقعٌ من الرياء. وهو لا يرى الأمر من وجهة نظر استراتيجية وسياسية فحسب، بل يعطي للأحداث بُعدًا حضاريًا؛ فالانحطاط الأخلاقي بخصوص ما يحدث في غزّة له، برأيه، عدة أسباب؛ أهمها أنَّ الغرب بدأ يحس بأن هناك نوعًا من الحملة على قيَمه، بخاصّة بعد صعود قوى عالمية تشكّك في نزاهة الغرب ومصداقيّته وقيمه.

أصل المقال:

يُؤسِّس الإعلام الغربي اليوم لفكرٍ يقوم على الاستباحة والتسويغ. الطامّة الكبرى أنَّ هناك في الغرب «مثقفين» لم يتردّدوا في إيجاد مختلف المسّوغات والأعذار لتبرير هذه الاستباحة ولتبنّي خطاب واحد لا غير، دون أن يطرحوا على أنفسهم أي سؤال موضوعي أو أخلاقي، كما أنّهم رفضوا أن يسألوا الواقع في صورة الضحايا؛ أطفالاً ونساء وشيوخاً، عن الأسباب، وكأنّهم في هذا يعتقدون أنَّ «الحقيقة ملك لهُم» وحدهم، وأنّه لا حقّ خارج ما يرون، وما يفكرون، وما يكتبون.

كنا نعتقد أن الضحية الأُولى للحروب هي الحقيقة. لكن أثبت العدوان الأخير على غزة أنَّ الضحية الأُولى لكلّ ما يحدث هي الحرية، حرية التعبير؛ تحديداً هذه الحرية التي نهض عليها الغرب، والتي لم تعد موجودة فيه إلّا ما ندر.

تحدّثنا في «العربي الجديد» مع عددٍ من الشعراء والكتّاب والروائيين والصحافيين والمترجمين وأصحاب دُور النشر في إسبانيا، وكان ذلك قبل

مجزرة «مستشفى المعمداني». سألناهم عن هذه الأزمة الأخلاقية والثقافية والحضارية التي يمرّ بها الغرب، وليس التعاطي مع ما يحدث في غزة، إلّا مثالاً عليها. كذلك سألنا عن سبب غرق الخطاب الثقافي الأوروبي في الرواية الصهيونية، وهل يملك مثقفوه، «حريةً حرّة» بتعبير رامبو؟

كلارا خانيس: أزمةٌ حضارية

الشاعرة الإسبانية كلارا خانيس، عضو «الأكاديمية الملكية للغة الإسبانية»، لم تتردّد في التعبير عن استيائها من هذه الأزمة الحضارية التي يمرّ بها الغرب، وليس هذا التوجّه الإعلامي المهيمن إلا تعبيراً عنها. إنّه توجّه يهدف إلى تشويه الحقائق. تقول كلارا: «أنا قلقة من هذا العالم الغربي المليء بالأكاذيب والتلاعبات. كأنّهم يريدون أن يقولوا لنا إننا لا نعرف شيئاً عن الأحداث الجارية. إننا لا نعرف التاريخ. إنّهم يشوّهون حقيقة كل شيء. أليس من العار أن يخرج رئيس أكبر قوّة في العالم كي يكذب أمام العالم عن قتل الأطفال في فلسطين، متجاهلاً المجازر الإسرائيلية؟

تقول كلارا هذا ولا تُخفي اليأس الذي تشعر به، لا سيّما وأنّها تعاني من مرضٍ لم يستطع الأطباء حتى الآن كشفه. تستطرد بنبرة شعرية حزينة: «لم تعد هناك أصوات حرّة. أو كي أكون أقلّ تشاؤماً، صارت قليلة. أصوات الرياء والزيف صارت تفرض نفسها. من هنا يمكن فهم هذا التبني للخطاب الإسرائيلي».

يولندا سولير أونيس: ازدواجيةٌ غير مسبوقة

الشاعرة والروائية الإسبانية يولندا سولير أونيس تعرف كثيراً عن سرديات التشريد والهجرة، تلك التي طوّرتها في رواياتها، خصوصاً أنّها الآن تقدّم روايتها الجديدة التي تروي فيها موضوعات متعلّقة بالهجرة بين إسبانيا وأميركا اللاتينية.

في سؤالنا عن هذا التبنّي الغربي للرواية الصهيونية، وعن هذه الأزمة الأخلاقية

التي تعصف المنابر الأوروبية في التعاطي مع موت المدنيين الفلسطينيين مقارنة مع الإسرائيليين، تقول أونيس: «بالنسبة إلى الغرب، هناك أموات من الدرجة الأولى والثانية والثالثة أيضاً».

وتضيف: «أي صدى إعلامي لقي موت سكان المغرب بعد الزلزال مقارنة مع أي زلزال أو فيضان حدث في أوروبا، تمثيلاً لا حصراً؟ إنّها لمأساة غير مسبوقة أن تُدان أعمال العنف ضد المدنيين الإسرائيليين، وأن تُبرَّر أعمال العنف والمجازر التي تُرتَكب ضد المدنيين الفلسطينيين».

إغناسيو دي تيران: أمام اختبار فلسطين

يُعدّ إغناسيو دي تيران، رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية في «جامعة مدريد المستقلة»، اليوم، واحداً من أبرز المستعربين (وهو الوصف الذي يطلقه المتخصّصون في الدراسات العربية والإسلامية في إسبانيا على أنفسهم كي لا يُقال عنهم إنهم مستشرقون) في إسبانيا وأوروبا، وهو لا يتردّد في وصف الغرب بأنه مستنقعٌ من الرياء.

كان من أبرز الأصوات التي كتبت في الصحافة الإسبانية في الأيام الأخيرة لتوضيح حقيقة ما يحدث في فلسطين للقارئ الإسباني. في حديث «العربي الجديد» معه يوضح دي تيران أنّه لا يرى الأمر من وجهة نظر استراتيجية وسياسية فحسب، بل يعطي للأحداث بُعداً حضارياً؛ فالانحطاط الأخلاقي بخصوص ما يحدث في غزّة له، برأيه، عدة أسباب؛ أهمها أنَّ الغرب بدأ يحس بأن هناك نوعاً من الحملة على قيَمه، خصوصاً بعد صعود قوى عالمية تشكّك في نزاهة الغرب ومصداقيّته وقيمه.

يرافق ذلك إحساس بأن أوروبا وأميركا في حالة شديدة من التراجع الاقتصادي والضعف الدبلوماسي. لهذا، «يشعر الغرب بأنّ أيّ مساس برموزه – وإسرائيل أحد هذه الرموز الحضارية لا سيما وأنها صنيعة غربية – هو هجوم جوهريٌّ ووجوديٌّ على الغرب وحضارته».

وعن سؤالنا حول تبنّي طيف كبير من المفكرين الأوروبيين للرواية الصهيونية، يقول أستاذ الدراسات العربية والإسلامية: «ليس المفكرون الغربيون بالسذج، وهُم في العمق يعرفون ما يحدث. ولكن الماكينة الأيديولوجية الصهيونية لها من القوة والنفوذ ما يجعلها مسيطرة على معظم وسائل الإعلام وشركات التواصل الاجتماعي، ناهيك بوجود جهات ومؤسّسات ومجموعات سياسية تابعة أو متحالفة متمكّنة جداً؛ تحديداً في دول مثل ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، وهي المرتكز الاقتصادي والسياسي أوروبياً».

يُضيف: «الحملة الشعواء على حماس بعد عملية «طوفان الأقصى» تحوّلت إلى تجّن على القضية الفلسطينية برمّتها، والدعوة إلى إنقاذ القيم الغربية. يتطلّب الصمودُ أمام حالة الهيستيريا هذه قدراً كبيراً من العزيمة والشجاعة. وهذا ما لا يتحلّى به عددٌ كبير من المفكرين الغربيين، الذين - أؤكد- يعرفون حقيقة المشروع الصهيوني الذي هو، أساساً وجوهراً، نقيض قيم الحرية والمساواة وحقوق الإنسان. مع ذلك لا يزال هناك في أوروبا مفكرون لا يخافون من قول ما يعتقدونه، رغم أنهم يعرفون أنهم سيتعرّضون لحملات إعلامية، أو أنهم سيُهمَّشون أو يضطرون للتعبير عن رأيهم في وسائل قليلة الانتشار موصوفة بالراديكالية».

ويتابع دي تيران قائلاً: «للأسف، ما يزيد من الوضع سوءاً أنَّ الفظائع الحربية والإعلامية الصهيونية تتوافق مع وجود حكومات أوروبية يمينية أعلنت ولاءها المُطلق للمشروع الصهيوني، وهذا ما يزيد من أزمتنا الثقافية والحضارية».

خوان كروز: ضدّ الهمجية الإسرائيلية

كان الصحافي والروائي الإسباني خوان كروز من بين مؤسسي جريدة «إلباييس» الإسبانية، حيث بدأ العمل فيها مراسلاً من لندن، ثم صار رئيس قسم الرأي والثقافة فيها. يقول كروز: «تتجاهل إسرائيل حقوق الفلسطينيين منذ 75 عاماً، أي منذ ولادتي. هذا الوضع القائم في غزة عارٌ على الإنسانية. للأسف، لقد سمحت القوى الغربية الكبرى بذلك دون أن تتخذ أي إجراء بحق إسرائيل».

ويضيف: «أنا ضد هذا كإنسان. وضميري كصحافي اليوم يحتّم عليّ أن أقول إنّني ضد الهمجية التي يعاني منها الفلسطينيون. هذا ما يقول ضميري كإنسان أيضاً». ويتابع خوان كروز: «أشعر بالإحباط بسبب الغموض الهائل الذي يحيط بأوروبا، بشكل عام. لم تعرف الولايات المتحدة ولا أوروبا كيف تتصرف منذ اللحظة الأولى للصراع. ولا الدول العربية حتّى. والنتيجة هي هذه الكارثة: موت الأطفال العزّل والفقراء».

فيرناندو غارسيا بورييو: انحسرت مساحة الحرية

فيرناندو غارسيا بورييو، أستاذ ومترجم اللغة التركية، ومؤسس دار نشر «Oriente y Mediterráneo» الإسبانية، يلقي باللوم على المثقفين في هذه الحالة الثقافية التي وصلت إليها أوروبا، بما في ذلك إسبانيا. يقول: «أتجنب وصفهم كمثقفين»، ويتابع: «دور المثقف يكمن بشكل أساسي في مكافحة مغالطات وتسمم الإعلاميين والكتّاب المرتبطين بالسّلطة، والذين يساعدون في دعم القضية التي تهم السلطة السياسية والقوة الاقتصادية بالدرجة الأولى. ولكن يعاني الكاتب الأوروبي اليوم من انحسار مساحة الحرية أكثر فأكثر. فمنابر الإعلام الكبرى تفرض روايتها، لذلك يتوجه بعض الكتّاب إلى وسائل هامشية. آخرون يفضلون عدم تعريض حياتهم المهنية للخطر، وبذلك لا يتطرقون إلى القضايا الحساسة، كما هو الحال بالنسبة إلى الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، أو بالنسبة إلى الموضوع الأوكراني».

إنماكولادا خيمينيز موريل: خطابٌ غربي عنصري

زوجته وشريكته في تأسيس دار النشر، التي كان لها فضل كبير في تعريف القرّاء الإسبان على الأدب العربي الحديث، إنماكولادا خيمينيز موريل، تستنكر هذا النفاق السياسي والثقافي والأخلاقي، وهذا الخطاب الغربي الذي تعتبره عنصرياً، وكارهاً للآخر.

هنا تؤكد موريل على دور المثقف الذي كما تقول: «يجب أن يعرّي الأشياء،

ويكشف الحقائق. مهمة المثقف تحليل الواقع، والبحث عن أسباب الصراعات، وتقديم التفسيرات، والمساهمة بالأفكار. لا يمكن لمن يَعدّ نفسه مثقّفاً أن يسمح باستخدام مقياس مختلف اعتماداً على الأشخاص الذين يتم الحكم عليهم: من الفاحش أن ندين غزو روسيا لأوكرانيا، وهي دولة ذات سيادة، وألّا ندين الغزو الإسرائيلي لغزة؛ من الفاحش الاعتراف بحق أوكرانيا، وأصرّ على أنّها دولة ذات سيادة، في الدفاع عن نفسها، وإدانة حق الشعب الفلسطيني، وهو شعب محتل وعديم الجنسية، في الدفاع عن نفسه».

لكن موريل تدرك أن حرية الفكر، التي تُعدّ حقاً معترفاً به في جميع دول أوروبا، تكاد أن تصبح حبراً على ورق. وفي هذا الشأن تقول: «هناك عواقب يتعرض لها الكتّاب في حال انحرافهم عن الرواية الواحدة والفكر الواحد. يُهمَّشون ويصبحون غير مرئيين. تحتكر وسائل الإعلام المضللة جميع المنابر أوروبياً، وتفرض روايتها. هنا توضع موضوعية المثقف على المحك: إما أن يدخل في هذه اللعبة أو أن يحاربها. الخيار الثاني معناه أنّه سيُهمَّش ولن يُسمع صوته».

خوسيه ميغيل بويرتا: عبثٌ أميركي في المنطقة

خوسيه ميغيل بويرتا، المعروف كأحد أبرز المختصين في قصر الحمراء وعلم الجمال العربي، يعرف الثقافة العربية خير معرفة، ولا يتردّد في فك شيفرة هذا العالم الغربي الذي ينكر قيمه. يقول أستاذ الفن في «جامعة غرناطة»: «إنه اعتداءٌ همجي ووحشي صهيوني ضد شعب فلسطيني أعزل بدعم من الحكومة الأميركية وحكومات غربية وغير غربية أخرى».

لا يشكك خوسيه ميغيل بأنّ المثقفين الأحرار في إسبانيا على إطلاع تام على ما يحدث من جرائم إسرائيلية في فلسطين منذ أكثر من 70 عاماً، رغم الخطاب الإعلامي القوي، لا سيما في الصحف اليمينية المسيطرة. وهو أيضاً يستحضر ازدواجية الغرب في التعاطي مع الشأن الفلسطيني مقارنةً مع أوكرانيا، ولا ينسى ما تعرّض له الشعب السوري من مآسٍ. «إنه عبث أميركي وغربي في المنطقة. والنتيجة مزيد من دماء المدنيين الأبرياء».

كارمن رويث: القوّة قبل الأخلاق

في أثناء حديثي مع كارمن رويث، مؤسّسة ورئيسة تحرير مجلة «Idearabia» وأستاذة الدراسات العربية والإسلامية، لم أستطع إلّا أن أتذكر الكاتب والمترجم والمستعرب بيدرو مارتينث مونتابث الذي قضى حياته وهو يدافع عن الفكر الحر، وقد تجسّد هذا الدفاع في تأليف العديد من الكتب التي تناولت القضية الفلسطينية، حيث وضّح فيها للقارئ الإسباني الكثير من الحقائق التاريخية، كما أنه كشف الكثير من التزوير الذي يمارسه الإسرائيليون.

على غرار أستاذها، تعترف رويث أن النفاق موجود في الثقافة الإسبانية، خاصة بين قطاعات الحكم والسلطة في مختلف المجالات. تقول لـ «العربي الجديد»: «إن العديد من الحكومات والقوى الغربية منافقة، بمعنى أنها تخفي حقائق خطيرة عن المواطنين الأوروبيين. إنهم يعرفون وضع الشعب الفلسطيني المنهوب والمضطهَد من قبل إسرائيل، ويعرفون طبيعة الأعمال الإجرامية التي تقوم بها الحكومات والجماعات الصهيونية، بل إنهم يتعاونون مع الصهيونية السياسية، بعضهم لأكثر من قرن من الزمان، ومع ذلك فإنهم يبقون الأمر سراً. إنهم يشوّهون الواقع ويمارسون الرقابة والقمع».

تتابع بنبرة حادة: «يوجد في إسبانيا قطاع كبير من المثقفين ـ الصحافيين، والكتّاب، والأساتذة الجامعيين، وما إلى ذلك ـ الذين يتعاونون بدرجات متفاوتة مع الصهيونية لأنهم معجبون بقوّتها ونفوذها، أو بقوة سيطرتها، ويضعون ذلك قبل الأخلاقيات الأساسية: العدالة والحرية واحترام الإنسان. إنهم مدفوعون بمزيج من المصالح والغرور وعقدة التفوق والعقلية الاستعمارية. وفي الغالبية العظمى من الحالات، ليس لديهم أي اهتمام بالتعرّف بشكل مباشر على الثقافة الفلسطينية أو العربية، بل يتمسكون بدلاً من ذلك بالنماذج الأولية والأحكام المسبقة لتقدير الذات الغربية على جميع المستويات».

تضيف رويث: «كثيرٌ من الناس لديهم خوف كبير من شعوب الدول العربية والإسلامية. إنه خوف يتغذى مع مرور الوقت عبر سوء التعليم،

والمناهج الضعيفة بالمعلومات، والجهل، وخطابات الحرب، والعدوان الاستعماري، والتمييز والفصل العنصري». لكنها تختم متفائلة: «في مواجهة هذا كله ثمّة مثقفون، نساءً ورجالاً، يدركون ذلك جيداً، ويعرفون حالة الاضطهاد التي تعيشها فلسطين».

تضيف رويث: «كثيرٌ من الناس لديهم خوف كبير من شعوب الدول العربية والإسلامية. إنه خوف يتغذى مع مرور الوقت عبر سوء التعليم، والمناهج الضعيفة بالمعلومات، والجهل، وخطابات الحرب، والعدوان الاستعماري، والتمييز والفصل العنصري». لكنها تختم متفائلة: «في مواجهة هذا كله ثمّة مثقفون، نساءً ورجالاً، يدركون ذلك جيداً، ويعرفون حالة الاضطهاد التي تعيشها فلسطين».

خاتمة

ما يحدث في فلسطين ويرفضه العقل والأخلاق هو إفلاس للمبادئ التي بشّر بها الغرب وتمسّك بها الفلسطينيون وراهنوا عليها وتقبّلوا بناءً على وعودها الوضع الراهن المفروض بغطاء القوانين الأوروبية - الأميركية في الأمم المتحدة.

أثبتت التجربة التاريخية، أكثر من مرّة، أنّ حقوق الإنسان هذه ليست للفلسطينيين، بل لغيرهم، وأنّ موت أهل غزّة، هو موتٌ مشروعٌ في نظر تلك القوانين. في ظل هذا كله، لا يتردد مثقفو الغرب، الذين يدّعون حرية الرأي والتعبير، في إحلال شهواتهم ورغباتهم محلّ الواقع والفكر، ومن حسبان المقاومة إرهاباً، وهمّهم في هذا البقاء في المتن. لكن، على الرغم من هذا كله، لا يزال ثمّة في الغرب كتّاب ومثقفّون قرّروا عدم الامتثال والعيش في الهامش إن استدعى الأمر.

لكم، نفتح أحضان الثقافة العربية، يا أصدقاء.

التظاهر في فرنسا يؤدي للسجن، والتلويح بالعلم في بريطانيا جريمة.. ما هي الدول الغربية التي منعت التضامن مع فلسطين؟

التاريخ: 2023/10/17

المصدر: عربي بوست

الكاتب: غير مُحدّد

موجز المقال:

رغم تغير الرأي العالمي حول القضيّة الفلسطينية، بحيث بيّنت الحرب العدوانية على غزة أحقيّة الشعب الفلسطيني في الدفاع عن نفسه، وقد نزل إلى الشارع الغربي الكثير من المتضامنين، فإن الدول الكبرى الغربيّة التي تصف نفسها بالديمقراطية وتعطي فسحة متسعة للحريات العامة والتعبير عن الرأي وتتشدّق بذلك، منعت التجمهر والتظاهر وحتى حمل العلم الفلسطيني. يتناول المقال العقوبات التي فرضتها مختلف الدول الغربية بخصوص من يتضامن مع فلسطين.

أصل المقال:

الدول التي تمنع التضامن مع فلسطين

في الوقت الذي شهدت فيه عدة عواصم ومدن حول العالم مظاهرات للتضامن مع الشعب الفلسطيني،

فإن هناك دولاً أخرى منعت جميع مظاهر التضامن والتعاطف، لدرجة أن إحدى تلك الدول أصدرت قراراً بالسجن.

فيما يلي أبرز الدول الغربية التي منعت التضامن مع عملية طوفان الأقصى أو مع المقاتلين الفلسطينيين أو حتى مع المدنيين في قطاع غزة.

السجن من 5 إلى 7 سنوات في فرنسا

في فرنسا قرر وزير الداخلية جيرالد دارمانان حظر المظاهرات المؤيدة للشعب الفلسطيني في جميع أنحاء البلاد، من خلال إرسال بيان إلى وزارة الداخلية الفرنسية.

وبرّر الوزير الفرنسي أن من شأن هذه المظاهرات أن تؤدي إلى «الإخلال بالنظام العام» في فرنسا.

من ناحيته هدد وزير العدل الفرنسي إريك دوبوند موريتي، بـ«السجن 7 سنوات»، لكل من يتعاطف مع حركة حماس أو يعلن مساندتها.

وقال الوزير إن كل من يدعو الناس لإصدار حكم إيجابي على حماس أو الجهاد الإسلامي، سيواجه عقوبة بالسجن لمدة 5 سنوات، وإذا قاموا ببث خطاب استفزازي على المواقع الاجتماعية، فسيتم سجنهم ليس 5 سنوات فقط بل 7 سنوات.

ورغم الحظر المعلن، تظاهر المئات في ساحة الجمهورية بباريس للتنديد بالقصف الإسرائيلي المستمر على غزة.

بريطانيا تجرّم حتى التلويح بالعلم الفلسطيني

الاعتداءات على حرية التعبير المتعلقة بفلسطين ليست جديدة، فقد عانى الفلسطينيون والمتضامنون معهم في بريطانيا منذ فترة طويلة من التهميش وإسكات الأصوات المعارضة، من خلال استهداف الحركات الاحتجاجية التي تظهر التضامن مع القضية الفلسطينية.

وتمنع بريطانيا أية مظاهر احتجاجية متضامنة مع فلسطين، كما حثّ وزير الخارجية جيمس كليفرلي مؤخراً المتظاهرين المؤيدين للفلسطينيين على البقاء في منازلهم.

وفي 8 أكتوبر/تشرين الأول، قالت وزيرة الداخلية سويلا برافرمان إن على الشرطة «استخدام القوة الكاملة للقانون» ضد مظاهر الدعم لحماس، وفقاً لما أكدته صحيفة The Guardian البريطانية.

وفي 11 أكتوبر/تشرين الأول، كتبت سويلا برافرمان إلى كبار رجال الشرطة في إنجلترا وويلز قائلة إن التلويح بالعلم الفلسطيني أو ترديد أية أغانٍ وترانيم تدافع عن حرية العرب في المنطقة؛ قد يشكل جريمة جنائية.

بالإضافة إلى ذلك فإن بريطانيا تدرس حالياً إدراج قانون يمنع مقاطعة المنتجات الإسرائيلية من خلال مشروع قانون النشاط الاقتصادي للهيئات العامة.

كما أن القرار سيتضمن أمراً بحظر النشر حتى على الدعم اللفظي لمقاطعة إسرائيل، وحتى على المستوطنات الإسرائيلية التي تعتبر غير قانونية بموجب القانون الدولي.

في حين أن هناك أقاويل تتحدث عن أن الحكومة ستتجه أيضاً لحظر جملة «من النهر إلى البحر، فلسطين سوف تتحرر»، وهو شعار شائع مؤيد للقضية الفلسطينية، والذي يفسره البعض على أنه معادٍ للسامية، وفقاً لما ذكره

موقع openDemocracy البريطاني.

واعتقلت الشرطة العشرات بعد احتجاجات في أنحاء المملكة المتحدة ضد حملة القصف والحرب البرية التي يشنها الاحتلال الإسرائيلي في غزة.

ألمانيا والنمسا يحظران التظاهر أيضاً

ومن جانبها حظرت شرطة العاصمة الألمانية برلين، خروج مظاهرات داعمة لفلسطين ومتضامنة مع الأسرى الفلسطينيين داخل السجون الإسرائيلية.

وتبع ذلك القرار إعلان المستشار الألماني أولاف شولتز، في بيان حكومي، فرض حظر على أنشطة حماس في ألمانيا بعد عملية طوفان الأقصى. بينما أصدرت الشرطة النمساوية تصريحاً بحظر مظاهرة في ميدان ستيفانس بلاتز وسط العاصمة النمساوية فيينا، على الرغم من موافقتها في البداية، وأكدت أن حظر التظاهر جاء بعد إعادة الحكومة تقييمها للموقف، مشيرة إلى أنها ستتسبب في حدوث تكدير للأمن العام وتعريض المصالح العامة للخطر.

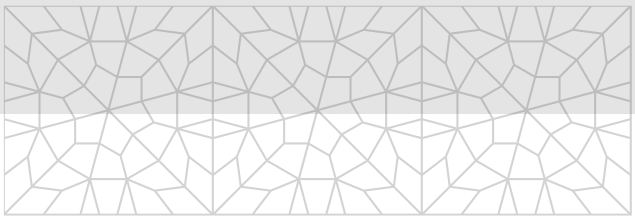

القسم الثاني: رأي المثقّف العربي

نشهد في ظلّ غياب الموقف العربي الرسميّ الواضح فيما يتعلّق بالحرب التي تُشن على فلسطين، تخاذل صارخ من قبل الأمراء ورؤساء الحكّام العرب، مع الاكتفاء بإدلاء الخطابات والبيانات المندّدة والمُعارضة للحرب، من دون القيام بأدنى خطوات الضغط لوقف الحرب كسحب السفراء الصهاينة أو إغلاق السفارات على سبيل المثال؛ ولكن من جهة أخرى نرى النهضة الشعبيّة العربيّة التي تقف إلى جانب القضيّة الفلسطينيّة إن كان بالقلم أو بالتظاهر أو بتقديم المساعدات.

نجد في المقالات أدناه الملف الخاص التي أفرده موقع العربي الجديد تحت عنوان «الثقافة العربيّة واختبار فلسطين» كمنبر للمثقّفين العرب للتعبير عن رأيهم فيما يجري من ظلم بحقّ القضيّة وازدواجيّة المعايير في مُقاربتها في ظلّ الصمت السياسي العربيّ.

الثقافة العربية واختبار فلسطين... ما العمل؟ (1)

التاريخ: 2023/10/23

المصدر: العربي الجديد

الكاتب: غير مَحدّد

في وقت يرتكب فيه كيان المستعمرة الصهيونية جرائم إبادة مستمرّة في فلسطين، يمكن مقارنتها بأكبر فظائع القرن العشرين، بغطاء أميركي وأوروبي، بعد هزيمته العسكرية أمام شجاعة الإنسان الفلسطيني المقاوم في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر الجاري، والتي رأت فيها الشعوب العربية بشائر تحرير وحرية؛ ماذا يمكن أن تفعل الثقافة العربية للقضية الفلسطينية؟ كيف تُصبح الثقافة أداة تحرُّر وتحرير للأرض والإنسان؟ وكيف يمكن أن تقاوم الثقافة العربية هيمنةَ المشروع الصهيوني على العالم العربي من خلال التطبيع والترسانة العسكرية والسيطرة على الإعلام والدعم الأميركي والغربي، وأي أدوات نمتلك؟

شاركنا في «العربي الجديد» هذه الأسئلة مع كتّاب ومثقّفين عرب، في محاولة تفكير جماعي بما يمكن للثقافة العربية أن تفعله الآن - وفي لحظات مفصلية قادمة - في طريقها إلى التحرّر والعدالة الاجتماعية وإنهاء الوقائع الاستعمارية والاستبدادية.

نجوان درويش / القدس المحتلّة

محمد بنّيس[1]: اختيار ثقافة المقاومة

التعاطُف النبيل مع «طوفان الأقصى»، الذي عبّرت عنه الشعوب العربية، صيحةٌ من أعماق النفوس الحرّة، اسمُها فلسطين. في أصداء الصيحة تجاوُبٌ مع مشروع التحديث الثقافي الذي كان، منذ القرن التاسع عشر، متواصلاً مع مشروع الحرية والتحرُّر، حسب الأوضاع والمعطيات الخاصّة بكلّ منطقة عربية. ثم جاءت نكسة 1967 بثقافة نقدية، حالمة، تُعيد النظر في مسلَّمات ومُحدِّداتٍ، غايتُها ضخّ دماء جديدة في فكرة التحديث الثقافي، التي أصبح مركزها القضية الفلسطينية. كانت ثقافة مواجهة، لثلاثة عقود. ورغم ما عرف فيها المثقّفون النقديون من أشكال العذابات والمنافي، فإنّ ما أنتجوه خلق حالة عربية من الوعي النقدي.

كلُّ ذلك أخذ ينأى ويتفسّخ مع الغزو الأميركي للعراق وبروز العولمة. ولعلّ مراجعة وضعية الثقافة العربية تجعلنا نُلاحظ أنها نسيت السؤال كما نسيت النقد. أمّا إعادة بناء نموذج الارتباط الثقافي بالقضية الفلسطينية فلم تعُد تسمح بإدراك المحدِّدات المطلوبة في الثقافة. لهذا استقبلتُ هذا النداء للتفكير، في الذي يمكن أن تكون عليه صلة الثقافة العربية مع القضية الفلسطينية، بما هو استجابة لحلم يشدّنا إليه، حلمٌ أو مستحيل.

أُلخّص وجهة نظري في الملاحظات التالية: السؤال عن الذي يُمكن أن تفعل الثقافة العربية للقضية الفلسطينية هو: «ما العمل؟». سؤال له غوايته، لِما يختزن من دلالات في التاريخ السياسي الحديث. كلُّ مثقَّف نقدي، عاش فترة الستينيات والسبعينيات، تعلّم كيف يجعل من «ما العمل؟» مصدر اختيارات تحرُّرية ثقافية وسياسية في آن، ويمكننا اليوم أن نُجيب عنه في ضوء الراهن. فالمُتتبّع للفكر الصهيوني يُدرك العناية القصوى التي توليها الصهيونية لنشر هذا الفكر، من خلال ممارسات ومؤسّسات ثقافية وإعلامية لامحدودة.

ضخامة عدد الإنتاجات والمؤسّسات وقوّة التأثير تؤدّي بنا إلى العجز

1 - شاعر من المغرب

والإحباط. لذا، فإنّ اختيار الثقافة العربية هو أن تعتمد ممارسات تتحدّى العجز والإحباط حتى يتغذّى التضامن مع القضية الفلسطينية ومع حركة المقاومة. أسمّيها ممارسات بمعنى كتابات وأعمال فنّية، بأصوات متعدّدة ومختلفة. يلتقي فيها الفكر بالأدب والفنون. ممارسات تتكامل مع ترجمة ما لم يُترجَم بعُد من أصول الثقافة الصهيونية وكذا الكتابات والأعمال النقدية لإسرائيليّين وسواهم، حتى يتمّ بناء ثقافة المواجهة بطريقة منظَّمة ومستمرّة. بهذا البُعد يمكن للثقافة أن تُبادر بفعل مقاوم، مجدّد ومؤثّر في مسار القضية الفلسطينية.

أمّا كيف تصبح الثقافة أداة تحرير وتحرّر للأرض والإنسان، فلا بدّ أن نستوعب الزمن الذي نحن اليوم فيه. لنكنْ واقعيّين. قد لا نختلف عندما نقول إنّنا بعيدون عن الحيوية الثقافية التي أفرزتها نكسة 1967، من حيث المعطيات والوقائع العربية والدولية. نحن في زمن العولمة، الذي يُمجّد ثقافة الإعلام والاستهلاك وقيم السوق، وفي زمن التطبيع بقتامته. بعيدون، بمعنى أنّنا لا يمكن أن نعود إلى الحيوية الثقافية للسبعينيات والثمانينيات. وما يمكن أن يربط الثقافة بفكرة التحرير والتحرّر هو اعتبار الذخيرة الثقافية التي اكتسبتها الثقافة العربية من نهاية الستّينيات حتى بداية القرن الحادي والعشرين، ثم تحيين ثقافة السؤال، التي هي ثقافة النقد. نسيان السؤال هو في حدّ ذاته نسيان لما أنتجه الكتّاب والمفكّرون والفنّانون، بجرأة المواجهة لقيم ومؤسّسات الاستعباد والإخضاع العربية. من ثمّ على الثقافة العربية أن تلازم المستحيل في العمل وفي الإنجاز.

وبخصوص الكيفية التي يُمكن أن تُقاوِم بها الثقافة العربية هيمنة المشروع الصهيوني، أرى من المستعجل الانتباه إلى ضرورة نقد الفكرة الصهيونية التي أصبحت تنتشر بكلّ ترحيب في العديد من البلاد العربية، وفي مقدمتها البلدان التي أقدمت على التطبيع مع «إسرائيل». هناك اليوم مثقّفون، كتّاب وفنّانون وصحافيون أصبحوا يتباهوْن بيننا، وهم يستعملون اسمنا، بالدفاع

عن «إسرائيل» وثقافتها. ما لم يكن التفكير فيه ممكناً في العالم العربي أصبح رائجاً بدون أقنعة من خلال كتابات وإصدارات ومواقع ومنصّات للتواصل الاجتماعي. الفكرة الصهيونية، التي يدافع عنها هؤلاء، موجَّهة لتجريم حركة المقاوَمة الفلسطينية، وكذا الإلحاح على أهلية ربط الصلات مع «إسرائيل» والدعوة لتثمين مكانة ثقافتها وقوّة تأثيرها في القرار السياسي والثقافي، على المستوى الدولي. بل وصل الأمر، في المغرب مثلاً، إلى اعتبار الأدب الإسرائيلي مكوّناً من مكوّنات الثقافة المغربية! وقائع مُحبِطة، ولها مع ذلك أن تدلّنا على كيف يمكن للثقافة أن تقاوم الهيمنة الصهيونية، إسرائيلياً ودولياً.

سعود السنعوسي[1]: نحو مقاومة ثقافية

وأنا أقرأ سؤالك عن أهمّية الفعل والحراك الثقافي في مواجه المشروع الصهيوني، فكّرتُ لوهلة: وأيّ سلاح آخر نملك؟ ربما تُحقّق المقاطعة تقدُّماً في بعض الأحيان. غير أنّ المقاطعة غالباً ما تكون وقتية، تبدأ ذروتها في أوّل الحدث ثمّ سرعان ما تضعف. ورغم أنّ مقاطعة المنتَج الداعم للمحتلّ لها أثر بالغ في تكبُّده الخسائر المادية، إلّا أنّها لا تُسهم بقدر كبير في نشر الوعي ومواجهة العالَم بحقيقة الاحتلال القاتمة.

في ظروف الضعف هذه، لا أتصوَّر أنّنا نملك سلاحاً نُواجِه به المحتلّ وعقلية المتعاطفين معه غير توجيه الدعم للقضية الفلسطينية ثقافياً، في الفنون والآداب، ومخاطبَة العالم بهذه اللغة المشتركة. فقد عمل المشروع الصهيوني، على مدار عقود، على مصادرة الثقافة الفلسطينية وانتحالها واستثمارها لصالحه أمام الغرب والعالم المتخاذل، في حين بقي الفرد الفلسطيني يقاوم بأدواته المتاحة، في الأدب والموسيقى والفّن التشكيلي والسينما، ليقول أنا هنا، وهذه قضيّتي.

أمام المُنخرطين في المجال الثقافي مسؤوليةٌ كبيرة في إعادة المروية الفلسطينية أدباً وفنّاً، بعدما سيطرت الماكينة الإعلامية الصهيونية على الرأي العام العالمي لعقود. وأتصوّر أنّ من الضرورة الإيمان بالثقافة أداةَ مقاومة ومدعاةَ حياة ووجود للقضية الفلسطينية وللإنسانية جمعاء.

قد يُخيَّل للمرء في لحظات ضعف أنّ هذا كلامٌ رومانسي لا جدوى من ورائه ولا يمكن تطبيقه في الواقع. غير أنّ التجربة تُثبت عكس ذلك، ولنا أمثلةٌ في ناجي العلي وغسّان كنفاني والكثير من الأسماء الأيقونية التي انتصرت للحقّ الفلسطيني بأداة الثقافة والفنون وكان لها بالغ الأثر.

للمقاومة الثقافية تأثيرٌ لا يمكن الاستهانة به. ولعلّ أبلغ دليل على ذلك هو ردود الفعل الغربية المعاكسة لدعاية حرية التعبير المزعومة وفق معايير

1 - روائي من الكويت

انتقائية، ومحاربتها لكلّ ما هو ثقافي في لحظات مجنونة لا تفسير لها، مثلما حدث مع الكاتبة الفلسطينية عدنية شبلي وإلغاء «الجمعية الأدبية الألمانية» فعالية تكريمها في «معرض فرانكفورت الدولي للكتاب». والأمر ليس مستغرَباً ولا يُعّد سابقة، فقد فوجئ الوسط الثقافي قبل حوالي سنتين بقرار إحدى الجامعات الأوروبية منع تدريس أدب الكاتب الروسي الكبير دوستويفسكي كردّ فعل على الحرب الروسية الأوكرانية، ورغم أن الجامعة تراجعت عن قرارها بعد ذلك، فإنّ تلك المواقف تُبيّن حجم التأثير الثقافي على الرأي العام، وتسليطه الضوء على بقع يتعمَّد العالم تغييبَها.

محفوظ بشرى[1]: فلنُحرِّر فلسطين من الثقافة السائدة

لا يجب أن تكون فلسطين قضيةَ العرب ولا قضية المسلمين، بل أن تكون في موضعها الحقيقي والطبيعي: قضية تحرُّر وطني وكفاح ضدّ عدوّ متوحّش.. قضية حرية الإنسان في مواجهة الاعتداء. يجب ألّا تقع الثقافة العربية في الفخّ الذي نصبته الثقافة الصهيونية لنا وللعالم بجعل القضية الفلسطينية صراعاً بين «هويتين»، بين «شعبين»، أو بين «ديانتين»، ومن ثمّ نَنشغل وينشغل العالم بجدل الاستحقاق المؤسَّس على الأسطورة.

فلسطين قضيةُ الإنسان في كفاحه من أجل نيل حريته، ومن أجل حقّه في الحياة، وهو يواجه استعماراً استيطانياً وحشياً يمتح من الثقافة نفسها التي وقفت وراء فظائع المستعمرين في الكونغو، وفي جنوب أفريقيا، يواجه الإبادةَ نفسها التي واجهها من قبلُ السكّانُ الأصليون في أميركا، حين أتتهم آلة المستوطنين المستعمرين مسنودةً باستحقاق تغذيه الأسطورة لتنتزع أرضهم وخيراتهم وتقتلهم من دون ندم.

أفضلُ ما يمكن أن تفعله الثقافة العربية لقضية فلسطين هو أن تتحرّر هي نفسها من مأزقها البنيوي، الذي يُقعدها كلّما كادت تنهض، ويجرُّها إلى أن تكون ثقافة قابلة للتقوقع في أوهامها الماضوية، والغرق في نرجسيتها الهويوية، وهي تتعثر أنّى تحركت؛ مصابةً بالغيبيات والميتافيزيقيا، غائبة في اعتقاداتها، لتعادي الحرية، أو لتخاف منها.

الثقافة العربية ليست ثورية، وتميل في كلّ محكّ إلى الانغلاق والعودة ماضياً إلى «منطقة راحتها»، متفاديةً مواجهة الأسئلة الصعبة والقضايا الساخنة، تاركةً خلفها خطاباً مُفارقاً للمنطق، ومنبتّاً عن مستقبله، وخائفاً من التحرُّك خارج البكائيات والمظلوميات الكاريكاتيرية، خطاب عاجز عن مواجهة الثقافة التي أنتجته، ومن ثمّ فهي عاجزة عن أن ترى نفسها، وأن تفهمها وتفهم العدوّ وأدواته.

هي ابنة ترويض استمرّ طويلاً، فاختلطت عندها الفوضى بالثورة، والحرية

1 - كاتب من السودان

بالخوف، والأمن بالقهر، فلم تعرف كيف تنصر نفسها قبل أن تنصر فلسطين، كيف تفكّ عنها لجام الغيب لتنمو، وليصبح صوتها أكثر وأكبر من رَبْرَبةٍ لا يعيها أحدٌ كما هو الآن.

لا بدّ من كسر الطوق الذي يخنق به الصهاينة العالم: طوق الحقّ الإلهي لشعب «مختار» يواجه «برابرة» لا يُحبّهم الربّ، ومن ثمّ لا يجب أن يتعاطف معهم من يؤمنون به!

لا بدّ من إخراج الصراع من بئر الآلهة إلى خلاء البشر، ليصير كما هو حقّاً: حرب ظالم على مظلوم، معتدٍ على معتدى عليه، وليس صراع «الطيّب والشرير» الهوليوودي، ولا صراع «وعد الربّ» وخيالات هرمجدون وهذيان المقدَّس! بل هو صراع يحاول فيه لصٌّ بمباركة أحفاد اللصوص السابقين، أن يقنعنا بأن هناك شيئاً اسمه «إسرائيل»، لننسى أنّ اسمها فلسطين، وهي محتلّة، لننسى «فلسطين المحتلّة»، ونُردّد: إسرائيل فعلت، إسرائيل تركت.

فليتحرّر المثقّفون العرب، تتحرّر الثقافة العربية، وتفكّ قيودها عن فلسطين.. فلسطين ليست قضية عربية، ولا إسلامية، هي قضية الحرية، يدافع عنها من يؤمنون بالحرية، ولا يمكن سَجنها في ضيق الهوية، ولا أن تكون قيّمة عليها ثقافة لم تُحرّر نفسها بعد.

أعني بـ«الثقافة العربية» في هذا السياق: الثقافة السائدة في الجغرافيا اللغوية المسمّاة «العالم العربي» وتوابعه، الناشئة من العلاقة الجدلية لتفاعلات آنية مستمرّة مع جذور وأساسات ثقافية وفكرية مشتركة بين مكوناتها «الثقافة العربية»، والتفاعلات الفردية مع هذا المجموع وردود الفعل الجدلية المتمثّلة في دوال تحدّد الاتجاهات والقواعد المفاهيمية المشتركة في نظام بعينه ذي خصائص محدِّدة يمكن اعتبارها نقاطاً مرجعية افتراضية.

خالد زيادة[1]: بحاجة إلى إعادة تعريف القضية

ليس أقلّ من الإدانة، ليس لتدمير أحياء كاملة، والعمل على تهجير السكّان، وليس لقصف مستشفى وقتل المئات. الإدانةُ ينبغي أن تُوجَّه إلى المجرم الأصلي، وهو «إسرائيل» (ومَنْ وراءَها أيضاً) التي لم تُبدّل من عقيدتها القائمة على الجريمة المتمادية بلا حدّ ولا وازع.

وإذا كان السؤال موجَّهاً إلى المثقَّفين، عن دور الثقافة في هذه الظروف، أظنّ أنّنا نحتاج إلى اليوم إعادة تعريف القضية العربية ـ الفلسطينية، بعد أن تاهت بين قيادة مترهّلة ومعاهدات سلام وتطبيع، وقوى مرتهنة لدول لديها أجندات خاصّة تَستخدم فلسطين كشعارات وحجج لتنفيذ مشاريعها ومصالحها التي ليس بينها أيّة أولوية لتحرير أو وضع حدّ لغطرسة «إسرائيل».

لا بدّ من إعادة تعريف علاقتنا بالعالَم وبالغرب خاصّةً، وإعادة الاعتبار للسياسة، بعد أن تاهت القضية وكلُّ قضايانا العربية المُحِقّة بين الحروب الدينية والحملات الصليبية. وعليه، يجب إعادة تحديد المسؤوليات في ما وصلنا إليه من هوان، فلم يعُد أحدٌ في هذا العالم يضع أيّ اعتبار لحكومات لا تتذكّر فلسطين إلّا في النكبات والمناسبات.

الثقافة تَعني التصدّي للأوهام من كلّ الأنواع، وقبل كلّ شيء أن يستعيد المثقَّف دوره، وينتزعه من أيدي الذين أقصوه وجعلوه «ديكوراً» في المجالس والمنتديات.

1 - أستاذ جامعي وباحث في التاريخ الاجتماعي والثقافي من لبنان

عبد الوهاب الكيالي[1]: لنُسخِّر الثقافة في مواجهة الإبادة

للثقافة والفنون دورٌ أساسي في بناء الإنسان وبناء المجتمع الحيّ الذي يُؤكّد على إنسانية الفرد الفلسطيني والعربي وحقِّه في الحياة الحرّة والكريمة غير المشروطة. ما تقوم به غزّة هو تأكيدٌ على حقّها وحقّ فلسطين في الحياة المتساوية والحرّة والعادلة والخالية من الذلّ والهيمنة والتسلُّط.

للنشاط الفنّي والثقافي دورٌ محوري في بناء إنسان عربي مستقلّ أخلاقياً وفكرياً، ليتحدّى تعسُّف السلطات والبنى الدولية والاجتماعية التي تقهره حيثما يعيش. في هذا الوقت بالذات، تتوجّه دُول ومجتمعاتٌ كاملة بتعليق النشاطات الفنّية للتضامُن مع الأهالي في فلسطين، ولكن باعتقادي هذا لا يفيد معنوياتنا ولا يغيث أهالينا، بل يُسهم في عزلنا وإثبات حالة الإحباط التي تعمّنا.

علينا تنشيط العمل الفنّي والجهر به بصوت أعلى حتى من الأحوال العادية، لنتمسّك ببشريتنا وبإنسانيتنا ونبني منتديات عامّة لمشاركة العواطف والأحاسيس وتأكيد أنّ حالنا جمعية وخلاصنا جمعي وقضيتنا عامّة، وأنّنا لسنا معزولين عن بعضنا البعض. لنُسخِّر الفنّ والثقافة للتأكيد على جدارتنا بالحياة واحتفالنا بها وتمسُّكنا بجمالياتها لمواجهة القتل والإبادة والموت المعمَّم.

1 - باحث أكاديمي وموسيقي من الأردن

عاشور الطويبي[1]: مقاومةٌ باسلة وغربٌ عريان

ما زلتُ في حالة من الحزن العميق والإحساس بالفقد الكبير لأصدقاء من مدينة درنة بعد طوفان الوادي والإعصار دانيال، ثم ما يحدث الآن من إبادة في غزة. من جهة، مقاومةٌ باسلة شجاعة وشعب صامد صبور يُقصَفُ بالطائرات والمدفعية ليل نهار، ويقال له علناً: غادر أرضك. من جهة أخرى، صار الغرب عرياناً وقد بانت سوأته أمام البصير والأعمى بإعلانه الصريح مساندة المحتل الغاصب والوحش الضروس، غرب بيمينه ويساره، فقيره وغنيه، محافظيه وتحرّرييه، كأنهم صاروا جميعاً على اتفاق لقتل الفلسطينيين بلا تخصيص، ولا يسمحون بخروج مظاهرة احتجاج في بلدانهم ومن يفعل يضرب بالهراوات والغاز المسيل للدموع، أما الذي يتجرأ برفع علامة تدل على نصرته لفلسطين فيطرد من عمله ويلاحق. من جهة ثالثة، ثمة دول عربية بجيوشها ونفطها وغازها، لا تفعل سوى إعادة شعارات بائتة واعدةً بإرسال معونات طبية وغذائية، ثم نقطة أول السطر!

الكارثة الأعظم، هي من الضفة الغربية، من السلطة الفلسطينية، من أبي خميس (محمود عبّاس) وهو يتحدث عن أن حماس لا تمثل الشعب الفلسطيني و»من شان الله قاوموا مقاومة شعبية سلمية». لن أتحدث عن كتّاب وأدباء، وخاصة الذين يعيشون في أرض «الحضارة» و»حرية التعبير» و»القيم الإنسانية الرفيعة»، فقد اتضح أنهم هناك في أدنى سلّم الاعتبار!

1 - شاعر من ليبيا

لطفية الدليمي[1]: الثقافة وتثويرُ القدرة الفلسطينية الناعمة

المَشاهد المُروّعة التي نراها في غزّة اليوم صارت تُذكّرنا كلَّ آن بسيناريو هولوكوست فلسطيني يُنفَّذ بخطوات تبدو مدروسة ومتتابِعة. لا أظنّ أنّ النزعة «الشعاراتية» العربية أو «الحناجر المبحوحة» ستكون ذات جدوى حقيقية. لا بدّ من مقاربات متمايزة نوعياً عن المقاربات التقليدية التي سادت المشهد العربي في جانبه الثقافي إزاء القضايا المصيرية.

لا بدّ من تحديد تفاصيل خطّ الشروع في المقاربة الثقافية. لعلنا نتّفِق أنّ موازين القوّة الإستراتيجية «الصلبة» تميل لكفّة المحتل. صحيحٌ أنّ إيقاع خسائره، حتى لو كانت محدودةً، ستكون مكلفةً جدّاً لحساباته، بسبب محدودية الوجود البشري الذي يُكوّن العمود الفقري لمجتمعه؛ لكن علينا ألّا نتناسى الكلفة البشرية الهائلة التي ستُلحقها ماكِنته العسكرية بالشعب الفلسطيني، مُستغِلّة الغطاء الإعلامي الأوروبي والأميركي الداعم. وفي النهاية، سندور في الحلقة الاستعادية ذاتها من تبادل أسرى وتحديد مناطق عبور آمن وإعادة ترسيم الخريطة الأمنية... إلخ

تكمن القدرة الفلسطينية الثقافية في جانب القوّة الناعمة (Soft Power). قد يبدو هذا الحديث غير مناسب لواقع الحال المضمَّخ بالدماء والأشلاء والمعاناة البشرية الهائلة وغير المسبوقة في غزّة؛ لكن عاجلاً أو آجلاً لا بدّ من مواجهة الاستحقاقات وعقلنة القدرة الفلسطينية وتفعيل جوانب القوّة فيها. معروفٌ عن الفلسطينيّين أنهم بارعون في القدرات الأكاديمية والمهنية، والنسبة الأكبرُ من شهادات الدكتوراه المرموقة بين العرب إنّما حازها فلسطينيون؛ لذا من المجدي في الإستراتيجية الثقافية العملُ من نقطة الشروع هذه: القدرة الفلسطينية الناعمة.

لو بدأ الفلسطينيون بعملية ارتقاء وتحديث لواقع البنية التحتية الثقافية لديهم، لصارت الثقافةُ قوّةً حقيقية فاعلة في تعديل بعض الاختلال في ميزان

1 - كاتبة من العراق

القوّة مع المحتل. من المجدي البدءُ بالبنية التحتية للثقافة؛ الرقمية تخصيصاً لأسباب عدّة، منها: أنّها غير باهظة التكلفة؛ إذ إنّ عناصرها الأوّلية لا تعدو شغفاً لا يُبارى بالبرمجيات يُضاف إليه جهاز حاسوب مع وصلة إنترنت. ثمّ إنّ الثقافة الرقمية تفترض العمل الفرداني، وهذه واحدة من أهمّ خواص الفرد الفلسطيني الذي اعتاد الاعتماد على نفسه منذ بواكير حياته. الغاية هي الوصول - في زمن قياسي - إلى نخبة رقمية متميّزة (Digital Meritocracy) شبيهة بقادة الهنود الذين يقودون شركات عالمية كبرى في قطاع التقنية الرقمية.

الفلسطينيون شعبٌ ذكيّ وصبور، ومجالَدة الشدائد ليست غريبةً عن تكوينه النفسي والذهني والجسدي. وعندما تكون الأهداف العليا مُؤشّرة لديه على نحو واضح لا لبس فيه، فأظنُّه سيُحقّق منجزات ستكون أقرب إلى انعطافات كبرى (Breakthroughs) على الصعيد العالمي.

التعليم الراقي هو حجر الزاوية في تدعيم القدرة الفلسطينية. تخيَّلوا معي فلسطينياً تعلّم منذ صغره لغة واحدة أو اثنتين من اللغات الأجنبية (الإنكليزية أو الفرنسية أو الألمانية مثلاً) بطريقة ذات كفاءة، ثمّ عزّزها بقدرات رقمية مضافاً إليها تميّز في باب الذكاء الاصطناعي والبيانات الكبيرة. كيف سيكون مستقبله؟ سيكون مؤهَّلاً لشغل مواقع أكاديمية مرموقة في كبريات الجامعات الغربية، فضلاً عن مواقع تنفيذية مهمّة في أكبر الشركات التقنية الحاضرة والتي ستنشأ في المستقبل. العلم والتقنية بطبيعتهما يتغلغلان بطريقة ناعمة وهادئة في نسيج المجتمعات المحلّية والعالمية، إلى جانب انعدام المخاطرة البشرية التي تترتب عليها تكاليف هائلة.

لو أنّ غزّة والضفّة الغربية حقّقتا نموذجاً تنموياً مشابهاً في بعض جوانبه للنموذج الهندي، فستتحوّل كلتاهما إلى بقعة إشعاع جاذبة للاستثمارات، وسيُحقّق هذا النموذج ناتجاً قومياً سنوياً يساهم في الارتقاء بحياة أبنائه ولا يجعلهم نهباً للفقر والانصياع لرغبات وشروط الجهات المانحة للمساعدات. حينها، سيرضخ الجميع للتعامل مع الوقائع الحقيقية على الأرض، وستختفي البروباغندا

التي تسعى لشيطنة الفلسطينيّين وإلصاق تهمة الإرهاب بهم وهُم يدافعون عن حقوقهم ووطنهم المحتل. سيضطرّ الجميع للتعامل مع الفلسطينيّين ببراغماتية منكشفة طالما أنّ مصالحهم تتطلّب ذلك. هذا جزء من التفكير الإستراتيجي: أن تجعل عدوّك يدرك أنّ مصالحه لا تتحقّق إلّا بتحقيق مصالح مقابلة لك.

ليس السلاح هو الفائز دوماً في معركة الإرادات، وبخاصّة مع عدوّ يتفوّق عليك بقدراته التسليحية النوعية. الأفضل هو تحريك مكامن القدرة (الناعمة)، وفي هذا الشأن يمتلك الفلسطينيون منجماً كبيراً لا ينضب من الإرادات البشرية الطموحة والطاقات الثقافية الخلّاقة.

طاهر البكري [1]: تقديم الأصوات الإبداعية الفلسطينية

لم أنتظر الأحداث الرهيبة والأليمة الأخيرة لمساندة الشعب الفلسطيني وقضيّته العادلة التي أعتبرُها قضيتي، ليس فقط من ناحية الانتماء العربي، بل كذلك من الأخلاقية السياسية والتاريخية واحترام الإنسانية وكرامتها. هكذا أعددتُ أنطولوجيا مترجَمة إلى الفرنسية عن الشعر الفلسطيني لجيل ما بعد محمود درويش، ونشرتُ كتاب «سلام غزّة» بعد زيارتي لفلسطين المحتلّة. وترجمتُ ونشرتُ أخيراً أشعاراً لزكريا محمّد وسميح القاسم وإبراهيم نصر الله في موقع إلكتروني، وساهمتُ في برنامج إذاعي فرنسي على محطّة رسمية عن محمود درويش، وكتبتُ أخيراً مقالاً عن رواية لكاتبة تونسية عاشت في فلسطين.

يُمكن للمثقّف العربي أن يقوم بالكثير ويدافع عن فلسطين، لا بالدعاية المرتجلة، بل بما يُعطي البُعد التاريخي ثوابت وقناعات لا شكوك فيها وتكون مقنعة. مساندة الشعب الفلسطيني لا تمنع انتقاد السلبيات وما يُسيء إلى فلسطين. لكن، لا بدّ أن نكون يقظين لما يُعطي للعدوّ فرصة للتشويه والمسّ بحق الفلسطينيّين، كما وقع أخيراً للروائية عدنية شبلي في «معرض فرانكفورت للكتاب».

1 - شاعر وأكاديمي من تونس

الثقافة العربية واختبار فلسطين... ما العمل؟ (2)

التاريخ: 2023/10/24

المصدر: العربي الجديد

الكاتب: غير مُحدّد

في وقت يرتكب فيه كيان المستعمرة الصهيونية جرائم إبادة مستمرّة في فلسطين، تُمكن مقارنتها بأكبر فظائع القرن العشرين، بغطاء أميركي وأوروبي، بعد هزيمته العسكرية أمام شجاعة الإنسان الفلسطيني المقاوم في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر الجاري، والتي رأت فيها الشعوب العربية بشائر تحرير وحرية؛ ماذا يمكن أن تفعل الثقافة العربية للقضية الفلسطينية؟ كيف تُصبح الثقافة أداة تحرُّر وتحرير للأرض والإنسان؟ وكيف يمكن أن تقاوم الثقافة العربية هيمنةَ المشروع الصهيوني على العالم العربي من خلال التطبيع والترسانة العسكرية والسيطرة على الإعلام والدعم الأميركي والغربي، وأي أدوات نمتلك؟

شاركنا في «العربي الجديد» هذه الأسئلة مع كتّاب ومثقّفين عرب، في محاولة تفكير جماعي في ما يمكن للثقافة العربية أن تفعله الآن – وفي لحظات مفصلية قادمة – في طريقها إلى التحرّر والعدالة الاجتماعية وإنهاء الوقائع الاستعمارية والاستبدادية.

نجوان درويش / القدس المحتلة

ماركو عمّار[1]: كلُّ واحد منّا بشمعته الصغيرة

في السنوات التي عملت فيها ناشطاً متطوّعاً، أتذكّر بوضوح كيف أثّر عليّ المثل الصيني «أن تُضيء شمعة خير من أن تلعن الظلام» الذي استخدمته «منظّمة العفو الدولية» شعاراً لحملاتها، وقد أعطاني ذلك الشعار الشجاعة اللازمة للإيمان بأنّ جهودنا لـ تحرير السجناء السياسيّين ستجلب ثمارها في وقت ما.

تُولّد الظروفُ الشاقة التي يعيشها اليوم الشعب الفلسطيني في غزّة والأراضي المحتلّة شعوراً باليأس والهجران لا تُمكن تهدئته. الدعم الذي تقدّمه الولايات المتّحدة والغرب لأيّ مبادرة صهيونية بحجّة أنها إجراء أمني مشروع ليس إلّا تعزيزاً للمخطّط الصهيوني للتطهير العرقي الذي لم تنجح «إسرائيل» في إكماله بعد. وقد تحوّل اتهام «معاداة السامية» إلى أداة قانونية لكمّ الأفواه ومنع أي شكل من أشكال الاحتجاج الاجتماعي الذي يُطالب بحقوق لا يزال الشعب الفلسطيني يُحرم منها، كما أنّ التفاوت السياسي في المفاوضات والتفاوت العسكري، الذي يتبيّن في كلّ مرّة من خلال التدمير وإحصاءات الخسائر البشرية، يُحبط كل أمل.

تشقّقات صغيرة لكنها تُسقط الجدران على المدى الطويل

على الرغم من كل ذلك، فقد تغيّر شيءٌ ما في السيناريو الجاري. منذ مدة طويلة والرأي العام الدولي لم يعُد قائماً على معلومات مُلتوية مُتحيّزة. على الرغم من أنّ الثقافة المُهيمنة لا تزال تبيع وتُوزّع روايتها عبر قنوات الإعلام الرسمية وغير الرسمية في جميع أنحاء العالم، إلّا أنّ الطابع الديمقراطي للفضاء الرقمي جعل حرب المعلومات صراعًا أكثر توازنًا بكثير مما نتصوّر. لا شّك في أنّ إشاعة الأخبار الكاذبة والمُفبركة باتت عملية هيّنة، لكن في نفس الوقت، بات حجْبُ الحقيقة عملية شبه مستحيلة.

1 - موسيقي ومترجم من إيطاليا ولبنان

هناك رواية أُخرى للتاريخ لم تعُد قابلة للرقابة أو للتفاوض. هناك مجتمع مدني متضامن متّحد يتشارك في نفس القيم لا يستطيع أحد تضليله، سيولَد الوعي أينما كان. وهناك ملايين من الأشخاص الذين لا يتحمّلون الظلم ولا يعلمون شيئًا عمّا يحدث في فلسطين اليوم. في الوقت الحالي، قد يبدو وكأن هذه هي تشقّقات صغيرة في النظام أو تفاصيل تافهة غير جديرة بالملاحظة، لكنها ستُسقط الجدران على المدى الطويل.

إنّنا أصغر من أن نرى التغيرات الكبيرة التي ستحصل. ما يجب على كلّ منّا أن يقوم به هو ضمان انتشار رواية مضادّة. يجب ألّا نتوقّف أبداً عن سرد الحقيقة. يجب علينا أن نُعزّز المقاطعة الأكاديمية والثقافية. يجب أن نُبقي الشموع مضاءةً وأن نُسلّط الضوء على الحقيقة، كلُّ واحد منّا بشمعته الصغيرة. ويلٌ لمن يلعن الظلام!

احميدة عياشي[1]: إعادة الاعتبار للفكر التحرُّري

في البداية لديَّ ملاحظتان؛ الأُولى: ما الذي نعنيه اليوم بالثقافة العربية في ظّل التناقُض والصراع والخلاف العربي وسيطرة السياسي على الثقافي؟ والثانية: هل نمتلك الشجاعة، كنُخب، لخوض معركة تحرير العقل العربي السياسي والثقافي من التلوّث الانهزامي الذي ما فتئ يتكرّس طوال العقود المتتالية لهزيمة 1967، وخيانة روح حرب 1973، وخدعة خطاب «السلام» الذي دشّنته رحلة محمّد أنور السادات إلى «الكنيست» وكادت أن تتحوّل إلى عقيدة يصعب الخروج عليها؟

ما حدث على الساحة العربية خلال النصف الثاني من القرن الأخير غيّر كثيراً من ملامح العالم العربي القديم، وغيّر من موازين القوى، وأعاد صياغة الكثير من الأسئلة التي كانت مرتبطة بالهويات العربية والتراث ووجهات الحاضر والمستقبل بشكل غير مسبوق، ما جعل الكثير من العقائد الجديدة المتوارَثة تحتضر بشكل عنيف. وكانت معظم المحاولات التي جرَّبت التجاوز باءت في أغلبها بالفشل أمام طغيان الشعبويات في ظلّ الإخفاق المتجدّد لصناعة النهضة، والتراجُع المخيف الذي سجّله العقل النقدي أمام لاعقلانيات «العقل العربي المتشظّي» في التعاطي مع مسألة التحرُّر القومي المركزية، وهي القضية الفلسطينية.

لقد جرى التخلّي عن القضية الفلسطينية ثقافياً، واختُزلت في المسعى السياسي الخاضع للحسابات السياسية التي تُمليها لعبة التوازنات وموازين القوّة والأمزجة السياسة، وجُرّدت من كلّ معانيها الرمزية والإنسانية، وجرى احتكارُها من قبل الساسة واللاعبين الكبار في لُعبة الأمم، وبالتالي أُبعدت الثقافة كلاعب أساسي في صياغة الرؤية وصناعة الخطاب، ولم تعُد إلّا ديكوراً.

ولذا، فإنّ الثقافة العربية مطالَبة بإصلاح نفسها، أوّلاً حتى تكون قادرةً على أن تُؤدّي دوراً فاعلاً لصالح القضية الفلسطينية، يتمثّل في تحرير القضية من كلّ الخطابات المُثبِّطة التي علقت بها، والانتقال بالقضية الى مرحلة الأسطورة

1 - كاتب ومسرحي من الجزائر

الإنسانية، لأنّها تُمثّل الحقيقة في التاريخ وفي سيرورة الحاضر. والمستقبل الإنساني المشروط بمعرفة هذه الحقيقة الداحضة للحقيقة الاصطناعية، «الحقيقة» الإسرائيلية المبنيَّة على الكذب والتضليل الكبير المدعوم بجهاز الدعاية الذي يمتلكه اليمين العبري/ الأورو- مسيحي العنصري الفاشي.

تُشكّل الثقافةُ روحَ الهوية المتحرّكة والمُتجدّدة والتناغُم مع حركة التاريخ. وبالتالي، فهي العنوان الحقيقي للسيادة ومحرّك التحرُّر الدائم ذاته، وليست مجرّد أداة. ومن هنا فهي تربط بين الإنسان والأرض والوجود وتمنح المعنى الشامل في معركته الكبرى في تحقيق الحرية التي لا يُمكن أن تنفصل عن الكرامة؛ حرية النقد، وحرية العيش، وحرية الخلق، وحرية التعبير والكلام، وحرية الاختيار، وحرية ابتكار العقائد وتبنّيها والدفاع عنها، كما أنّ هذه الثقافة لا تقتصر على الأشكال والتعابير التقليدية والمتعارَف عليها، بل تشمل كلّ السلوكات والأنماط الهامشية والتمظهرات التي تُفرزها التطوّرات والقطائع في تيار الأزمنة المتراكمة داخل الجماعات الوطنية والمجموعات الدينية المتعدّدة داخل الوحدة القومية، ما يساعدها على الانخراط في عملية الحوار الذي يمنحنا القوّة على تحقيق استقلال الذات الجماعية وتكاملها مع الذوات الأُخرى المبنية على العدالة والحرية.

المقاومة بحاجة اليوم إلى لغة جديدة وفكر مغاير وعقل عملي

لا حرية ولا تحرُّر مع سيادة الجهل. لذا فتعميم المعرفة النقدية والعملية والتحرُّر من الغيبيات السياسية أيّاً كان شكلُها هو طريقنا لنجعل من الثقافة فعلاً يساعدنا على تحرير الانسان من أوهامه، ومن الأوهام المفروضة عليه بالقوّة والتسلّط والهيمنة من قبل إمبريالية الإعلام والوسائل الجديدة للدعاية.

المقاومة بحاجة اليوم إلى لغة جديدة وفكر مغاير وعقل عملي، وذلك لا يمكن أن يكون عملاً فردياً، وإنّما يُمكن أن تأخذ المبادراتُ الفردية معنىً حقيقياً عندما يكون هناك دور للمجتمعات الأهلية في البلدان العربية، وقد يكون ذلك بإقامة

شبكات متضافرة ومتعاونة، يتركّز عملُها عبر مراكز بحث حقيقية، تكشف الوجه الحقيقي لأعداء الشعب الفلسطيني من دول، ومنظّمات، وشخصيات، وخطط، وأساليب، وثقافات... إلخ، ومواقع إلكترونية، وسينما، ومسرح، وأشكال تعبيرية ثقافية شعبية، تتوجّه إلى قوميات وجنسيات وثقافات أُخرى صديقة، وخصمة، وعدوّة، وخلق تحالفات ثقافية، ودبلوماسيات ثقافية، ودعم مثقّفين ومفكّرين ونشطاء ثقافيّين وإعلاميّين من أصدقاء القضية الفلسطينية وقضايا التحرّر، وإعادة الاعتبار لفكر التحرُّر العالمي الذي تعرَّض منذ نهاية الحرب الباردة لعملية طمس وتشويه، وتكريم كلّ من تعرّضوا للمضايقات والتهميش من مثقّفين نقديّين وعلماء ناضلوا ضدّ الفكر الصهيوني والعنصرية الفاشية من داخل «إسرائيل» وخارجها، والاعتناء بثقافة الطفل القائمة على فكر التحرُّر، وتجاوُز تلك التقسيمات المانوية التي سادت العقل العربي اليساري أو غير اليساري والسعي لإعادة كتابة جديدة لتاريخ المنطقة العربية من زاوية الفكر التحرُّري.

علاء خالد [1]: من داخل غرفة الأصوات المعزولة

في مثل هذه الأوقات الكارثية، يتنامى الإحساس بالضآلة أمام عنف ما يحدث، وأمام صمت الجماعة الإنسانية الكبيرة التي ننتمي إليها جميعاً. ينسحب الكلام، على صدقه، إلى غرفة الأصوات المعزولة، المنطقة التي تكتم فيها الأصوات وردود الفعل، داخلنا وداخل ثقافتنا أيضاً. في هذه الغرفة الرمزية تتآزر مكبوتاتنا النفسية، كأفراد وكثقافة، وتكون ستاراً يحجب النظر بوضوح لأنفسنا، كأفراد وكثقافة.

الكوارث تُعيد طرح الأسئلة القديمة والصحيحة التي أتت من موقع الذات المجرَّدة في مواجهتها مع الآخر، وأهمّية هذه الكوارث، على مأساويتها، أنّها تُعيد طرح العلاقة مع الذات ومع الآخر معاً، كونه جزءاً من الذات، ومختلفاً عنها في آن.

من داخل هذه الغرفة، أكتب وأنظر إلى الخارج، كمثقّف مصري أو عربي أو فلسطيني، أحاول أن أتجاوز عزلتي الاضطرارية، وعزلة ثقافتنا المختارة. لا أرى أي حلول مؤقَّتة لمعالجة الكارثة، كلُّها حلول طويلة الأمد، وأهمُّها وأكثرها عمقاً وغوراً في النفس: ردّ الاعتبار إلى هذه الثقافة التي ننتمي إليها، ليس بالتعالي أمام أيّ ثقافة أُخرى، ولكن ربما نحتاج إلى تجاوُز أيّ سقف يؤكّد «دونيّتنا»، وتجاوُز أيّ نظرة تدفعنا إلى إنتاج وتثبيت هذه الصور.

أعتقد أنّ هذا التجاوز يُمكن أن يتمّ بفحص هذا المكبوت الرمزي، واللغوي، والنفسي، والديني، الكامن في غرفة الأصوات المعزولة، للوصول إلى نقطة نفسية جديدة، وصورة عن الذات فيها نوع من الاتساق والتصالح والعافية، وتضييق الفراغات داخلها، وبينها وبين الخارج، ربما تكون بداية للتساوي مع المستقبل وما يحمله.

بالإضافة، طبعاً، لاستعادة الأرض والمكان/ الوطن، الذي تتمّ فيه رحلة الاستعادة بالنسبة إلى الفرد والجماعة الفلسطينية، وهي النقطة الجوهرية التي سيبنى عليها.

---

1 - شاعر وكاتب من مصر

بحاجة إلى وعي نقدي منفتح على حركة الحياة وتحوّلاتها

ربّما لن يتولّد هذا التجاوز إلّا بوعي نقدي منفتح على حركة الشارع والحياة وتحوّلاتها، ومحاولة وضع ولو حدّ أدنى من مقوّمات تنوير عربي، بعيداً من خطوات التنوير السياسي القديم الذي فشل، وأوّلها ألّا تكون الثقافة تابعة للمشروع الأخلاقي السياسي، وطموحه، بل الانفتاح على كلّ قضايا الوجود من دون تفضيل، وتشجيع هذا الانفتاح، سواء بشكل مؤسَّسي، أو كطموح شخصي من أفرادها.

هذا الوعي النقدي لن يتأكّد بشكل فردي، لكنّ هناك دوراً للمثقف العضوي، بالنظر بتعاطف إلى مجتمعاتنا الداخلية التي نعيش فيها، وأن نُنمّي فيها ما تعلّمناه من قيم الحوار والتعدّد، وأن نكسر جدار النخبوية ومسبّباتها الرأسمالية وأعراضها الجانبية من انعزال ودونية/ تعال.

أهمّية حضور جمهور حقيقي، للمثقَّف، بيننا وبينه مشترك إنساني ورمزي، يُمكن البناء عليه. بمعنى آخر، أهمّية أن يكون لكل منا آخر قريب من حوله، يتبادل معه الحوار ونقاشات الحياة، ولا نتعالى على أي إنسان/ جماعة، لأنّ الثقافة، على تعقيدها، تقوم على حساب المشاعر، واتجاه حركتها وعدالة مسعاها، حتى ولو اضطررنا إلى تغيير بوصلة الذات.

أيضاً الدفاع عن مفهوم الحياة وحكمتها، ليس في الأدب فقط، بل في كل ما يقف ضدّها. فعوامل ضعف أو دونية أيّ ثقافة، أمام ثقافات أُخرى، كما يقول تودوروف؛ كامن في هيراركيتها (تراتبيتها)، والفوارق الطبقية بين أعضائها، وتحلُّل مصادر قوّتها مع الوقت.

لقد تحوّل اختلافنا عن الآخر إلى سلاح ضدّ أنفسنا، ولم يتحوّل إلى نوع من التعدُّد. من المهمّ أن نَخرج من سباق الثقافات، أو صراعها، وليس بالضرورة أن نقيس أنفسنا على مقياس ثقافة أُخرى، وليس من الضرورة أيضاً أن يكون لنا سؤال جذري كالثقافة الغربية، لكلّ ثقافة جذريتها، وتابوهاتها.

كل هذه الإزاحات السابقة ربما تُفضي إلى مسار جديد ومختلف للثقافة، وللذات، ومن هذا الاختلاف يُمكن بناء وعي نقدي جديد من دون حروب

أو حساسيات، بمثابة لحظة تنوير مختلفة سيكون لها «آخر كوني» يعيش نفس ما نعيشه وأزمته مشابهة لأزمتنا، وليس «الآخر القديم» الذي لم يُقدّر اختلافنا، وقام باستغلال ضعفنا أو «دونيتنا».

ربما هناك أفكار متناقضة أتناولها في هذا النص الصغير، ولكن أرى أنّ هذا التناقض له وجه آخر حيوي، أنه يحمل تاريخاً للأفكار وتحوّلاتها وما يُؤثّر منها على الذات، ويبني لها مواقفها واختياراتها. تلك الذات الكلّية، أو ذاكرتنا الجماعية الحيّة، التي تحاول أن تصفّي تناقضاتها عبر صدامها، وعبر دخولها في سياق جماعي يستبعد ويقرّب ويصنع من التناقض حلولاً، أو مداخل جديدة، والأهمّ أن يكون هناك مداخل نرى بها المستقبل الغائب عن حياتنا وربما عن حياة العالم في تلك اللحظة الكارثية.

بثينة العيسى[1]: لا يساورني الشك

هذه معركةٌ تُخاض على أكثر من صعيد، أحدُ أهمّ مستوياتها هو اللغة. كلّما ساورك الشكّ بشأن محورية وجوهرية وتأثير قوانا الناعمة، تذكَّر كيف برّرت غولدا مائير السردية الصهيونية عن «شعبٍ بلا أرض لأرض بلا شعب»، بقولها بأنّه ليس هناك شعب فلسطيني لأنه ليس هناك أدب فلسطيني. تكذب طبعًا، ما الجديد؟

ما يحدث في منصّات التواصل الاجتماعي، وفي بعض البرامج الحوارية (انظر؛ حسام زملط، ومحمد حجاب، وباسم يوسف، وغريس بليكلي، وغيرهم) هو رفضٌ قاطع للقبول بسردية العدوّ، أو حتى الفرضيات الضمنية الخرساء التي لا تُقال صراحةً، بسبب الطريقة المعتورة في طرح الأسئلة، وبتر السياقات، والتنكّر للتاريخ. لم يعُد الإعلام الغربي قادرًا على المناورة، لأنَّ كلّ معركة ضدّ فلسطين هي معركة ضدّ الحقيقة، وضدّ التاريخ، وضد العقلانية، قبل أن تكون معركة ضدّ الإنسانية.

لنتخيَّل علاقةً بين شخصين، علاقة مبنية على الكذب - ولنفترض بأنّها أكاذيب تمّ قبولها وتصديقها وتسويقها - لكنها تبقى أكاذيب.

لا تملك العلاقات والكيانات المبنية على الكذب أيّ فرصة للاستمرار، فما بالك بمؤسّسة، بقوّة عسكرية، بكيان سياسي قائم على الكذب؟ لهذا السبب وحده، لا يساورني الشك بأنه كيان زائل، وأنها مسألة وقت، وأنّ كلّ ما يفعلونه هو محاولة بائسة للمدّ من عمره الافتراضي. وبتعبير الشهيدة شيرين أبو عاقلة: بدّها طولة نفس.. خلّي المعنويات عالية.

1 - كاتبة من الكويت

فادي أبو ديب[1]: وضْعُ الصراع في سياقاته

في الوضع الآني المتمثّل بالعدوان الإسرائيلي الوحشيّ على قطاع غزّة، والذي يُنذر بتنفيذ خطّة كانت مبيَّتة منذ زمن؛ وهي تهجير الفلسطينيّين خارج أرضهم وإحداث نكبة أُخرى، تقف الثقافة العربية، ككناية عن العاملين في الحقل الثقافي، ضمن الجدول الزمني الحالي والإمكانيات المتاحة، أمام مسؤولية الاستمرار في كشف ما يحدث على الأرض وإيصاله إلى العالم كلّه، خاصّةً أنّ جزءاً كبيراً من وسائل الإعلام العالمية يغيّب الكثير؛ ففي الأيام الأُولى لعملية «طوفان الأقصى»، مثلاً، غاب ذِكر وجود عملية عسكرية على ثكنات ومراكز الجيش الإسرائيلي في منطقة غلاف غزّة عن وسائل إعلام عديدة لم تذكر إلا تعرُّض بعض الجنود الإسرائيليين إلى «إطلاق نار».

في نفس الوقت، لا يجب على المثقف العربي أن يشعر بوجوب التبرير الأخلاقي لكلّ فِعل يحدث على الأرض من طرف المقاومين، بل عليه، وهنا المهمّة الأصعب، أن يؤكّد دائماً السياق الأوسع والتاريخي للصراع، وأن يقف بصلابة أمام محاولات حرف النقاش والأخبار نحو جوانب جزئية أخلاقية وجمالية محضة. والإنسان المثقّف صاحب الفكر هو الأقدر على رؤية الصور الكلّية وترتيب جزئياتها ضمن أولويات وثانويات، مركزيات وطرفيات، وشرحها بطريقة صادقة لا تكذب ولا تُدلّس ولا تغفل التفاصيل، ولكنها لا تسمح أيضاً بالانجرار نحو التفاصيل الصغيرة التي تطمس السياق الأوسع والصورة الكاملة.

مسؤولية كشف ما يحدث على الأرض وإيصاله إلى العالَم

ولكي تكون الثقافة أداة تحرُّر وتحرير، يجب أن تعمل على الإنسان والأرض معاً، لأنّ الإنسان مشروع مستمرّ لا ينتهي، والأرض حامل لهذا الإنسان. من

1 - شاعر وكاتب سوري مقيم في السويد

دون الأرض لا وجود للإنسان إلّا كظاهرة عابرة لا يُمكن لها أن تُحقّق التراكم الثقافي والحضاري... من دون الإنسان لا حياة بالمطلق. فالثقافة تُحرِّر الإنسان وتتحرَّر هي نفسها به. لا أستطيع إلّا أن أرى العلاقة الدائرية بين الإنسان والثقافة؛ فالإنسان يتحرّر بالثقافة من الخوف ويُحقّق من خلالها وجوده الشخصيّ، وهو أيضاً مسؤول عن تحرير الثقافة من الخوف المتراكم فيها. لا يُمكن الحديث هنا عن سابق ولاحق، وإلّا أصبحنا نقف أمام معضلة «من أوّلاً البيضة أم الدجاجة؟»، ولكن المهمّ أن نؤكّد التشابك الحتمي بين مصير الإنسان ومصير الثقافة. لا يُمكن لإنسان غير حرّ أن يُحرّر الأرض ويصنع منها وعليها شيئاً. ويمكن القول إنّ فعل المقاومة في العموم هو فعل إيمان بالذات من نوع ما، مهما كان منغرساً في قيم دينية أو ما ورائية. والأمل دائماً ينظر إلى أن يزيد إيمان الإنسان بذاته من دون أن يحطّم كلّ قيمة عليا تتجاوز ذاته، كما حدث في كثير من نواحي الثقافة الحداثية في الغرب.

أمّا مواجهة الإعلام الصهيوني المدعوم من الإمبراطورية العالمية، فهي مسألة عمل جبّار على مستوى وطني. مشاريع المواجهة الكبرى هي مشاريع وطنية قومية بامتياز، لأنها مشاريع استراتيجية طويلة الأمد تحتاج إلى إنفاق وتخطيط متواصلَين. وهنا يجب أن تكون الثقافة العربية مشروعاً ذا أولوية للدول العربية؛ فالثقافة العربية تحتاج إلى أجيال جديدة تحملها، أجيال تتعلّم في مدارس جيّدة تعتني بالثقافة العربية، باللغة والأدب والفكر، وتُشجّع على الإبداع وعلى الخروج من دائرة التقليد التكراري من جهة، ودائرة التبعية للخارج من جهة أُخرى. يجب أن تتحوّل الثقافة العربية إلى مشروع حياة خلّاقة، ومن دون هذا لن يرى العالمُ الثقافةَ العربية إلّا بوصفها، في أحسن الأحوال، حاملاً لتقاليد قديمة مثيرة للفضول، تماماً كما يُنظر إلى الثقافة الهندية القديمة المكتوبة بالسنسكريتية.

إنّ جزءاً كبيراً من الدعم الشعبي لـ«إسرائيل» حول العالم لا يستند إلى أسسٍ دينية صهيونية، بل على اعتقاد الكثير من الناس العاديين بأنّ «إسرائيل»

دولة عصرية وحديثة ومنتجة للثقافة والجمال، ويمكن لهم قضاء عُطَل رائعة فيها! وعلى الثقافة العربية أن تُظهر للعالم أيضاً أنّها ثقافة عصرية.

يجب أن يُنفق على الترجمة وعلى الصحف والمجلّات العربية الناطقة بلغات أُخرى - هذا عملٌ يجب أن تدعمه السفارات في الخارج (هل أسمع قهقهة ساخرة؟)، وينبغي أن يكون هناك حضورٌ عربيّ يمنح المراقب الخارجي شعوراً بوجود ثقافة لا تستحقّ الاكتشاف فحسب، بل تستحقّ الدفاع عنها.

ولكن يجب الاعتراف بأنّ القوّة الثقافية لا تنفصل عن القوّة السياسية والعسكرية و/أو القوّة الاقتصادية المُنتجة؛ ففي الغالب، يتماهى الناس مع الأقوياء ذوي الحضور المثير للإعجاب الذي يفتح لهم آفاقاً لوعي مختلف.

الثقافة العربية واختبار فلسطين... ما العمل؟ (3)

التاريخ: 2023/10/24

المصدر: العربي الجديد

الكاتب: غير مَحدّد

في ظلّ جرائم الإبادة الإسرائيلية المستمرّة في فلسطين، والتي تمكن مقارنتها بأكبر فظائع القرن العشرين، بغطاء أميركي وأوروبي، بعد هزيمة إسرائيل العسكرية أمام شجاعة الإنسان الفلسطيني المقاوم في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر الجاري، ماذا يمكن أن تفعل الثقافة العربية للقضية الفلسطينية؟ كيف تُصبح الثقافة أداة تحرُّر وتحرير للأرض والإنسان؟ وكيف يمكن أن تقاوم الثقافة العربية هيمنةَ المشروع الصهيوني على العالم العربي من خلال التطبيع والترسانة العسكرية والسيطرة على الإعلام والدعم الأميركي والغربي، وأي أدوات نمتلك؟ شاركنا في «العربي الجديد» هذه الأسئلة مع كتّاب ومثقّفين عرب، في محاولة تفكير جماعي بما يمكن للثقافة العربية أن تفعله الآن - وفي لحظات مفصلية قادمة - في طريقها إلى التحرّر والعدالة الاجتماعية وإنهاء الوقائع الاستعمارية والاستبدادية.

نجوان درويش / القدس المحتلة

أمل بوشارب[1]: التأسيس لتيار يقاوم ثقافة التخاذل

قد تُغرينا هذه اللحظة المشحونة وجدانياً بالانجراف إلى خُطب عاطفية، يشعر بعدها المثقّف بأنه قد أدّى واجبه على أكمل وجه حيال القضية الفلسطينية، خصوصاً أمام المواقف المُتخاذلة التي أصبحت للأسف سمة عامة لمثقّفي العالَم العربي، الذين يعتقدون أنهم قد فهموا لعبة «العالمية»، والثمن الذي يتعيّن دفعه من أجل الدخول إلى «الدائرة المباركة» للساحة الثقافية الغربية.

الصمت أو المواقف الباردة التي اتّخذها الكثيرون إزاء حرب الإبادة التي يتعرّض لها الفلسطينيون، لا تُعبّر عن هزيمة داخلية ونزيف كرامةٍ مُزمن يعيشه هؤلاء فحسب، لكنّ أسوأ ما في هذه الحالة أنها قد تُصبح مُعدية وقابلة للتمرير للأجيال القادمة من الكُتّاب الشباب الذين قد ظهر على البعض منهم بالفعل علامات الاقتداء بالأسماء «اللامعة»، أو من يُعتقد أنهم فهموا أصول اللعبة قبلهم.

من هنا يأتي أولاً واجبنا بعدم الاكتفاء بالحدّ الأدنى من تسجيل المواقف، وهي عملية مهمّة، وإنما الأهم من ذلك هو التأسيس لتيّار يُقاوم ثقافة الانكسار التي يُحاول المثقّف المُتخاذل جعلها سمة الإنسان العربي في هذا العصر. الوقوف أمام هذا التوجّه لا بدّ أن يبدأ من خلال خطوات عملية أوّلها عودة الإعلام الثقافي العربي لِلَعب دوره الأساسي بنشر المعرفة بعيداً عن الاستسهال، بل الخوض في مفاهيم أساسية تتعلّق بالتوجّهات والمدارس الفكرية الحديثة في الغرب، والتي من شأنها إسقاط أوهام كبرى عن الساحة الثقافية الغربية، وديناميكيات تكريس الأسماء العربية في داخلها.

1 - روائية ومترجمة جزائرية مُقيمة في إيطاليا

ديمقراطية غربية خادعة تستغلّ كتّاباً ومثقفين «ملوّنين»

«التوكينيزيم» أو استخدام الأقلّيات كأوراق لعب هو مثلاً مصطلح غائب تماماً عن أدبيات الإعلام الثقافي العربي، لدرجة عدم وجود ترجمة عربية معروفة له، هذا بالرغم من أنه مصطلح مُكرّس منذ عقود يعرفه المثقّفون الغربيّون جيداً، ويعني توظيف الكُتّاب والمثقّفين من ذوي الأسماء أو الأشكال «الإكزوتيكية» في المنظومة الثقافية الغربية، للإيحاء بتنوّع زائف يخضع عادة لشروط المنظومة الحاضنة. ومن نافل القول الإشارة إلى أن العملية بأسرها لا تُلقي أي اعتبار حقيقي للقيمة الأدبية للكاتب «الملوّن»، سوى استغلال خلفيته الثقافية للإيهام بديمقراطية خادعة هي نفسها الديمقراطية التي لا تأبه بقتل الفلسطينيين أو محو مدنهم عن بكرة أبيها اليوم.

وعليه لا بد أن يُدرك القارئ الشابّ، الطامح في أن يُصبح هو الآخر اسماً عالمياً يوماً ما، أن الكُتّاب العرب الذين يبصقون على ثقافتهم في الغرب من خلال كتابات ومواقف لا تُشبه أصالة شعوبهم، لا يَنظر لهم المثقّف الغربي على أنهم أنداد، بل ببساطة مجرد «توكنز». إدراك الكاتب العربي الشاب أن الأسماء التي تتنكّر لقضايا شعبها، لا يكنّ لها الغربي في نفسه سوى الاحتقار، وإن سُلّطت عليها الأضواء الخادعة، قد يجعله يكتفي بالكتابة لقُرّاء لغته الأم لا للترجمة من أجل الحصول على مجد عالمي زائف. لحظة الوعي الكبيرة هذه وحدها قد تطلق مشروعاً لأدب مقاومة غير متوقّع من شأنه أن يكتب صفحة عظيمة من صفحات الأدب العربي. تأخذنا هذه النقطة إلى إجراء عملي ثان يتعلّق بالترجمة، فمن المهمّ بمكان للمثقّف العربي، اليوم، أن لا يسمح لنفسه أن يتحوّل صوته إلى طلقة في صدر شعبه، والأمر يعني أن لا يقبل الكاتب أو الشاعر العربي سوى عروض ترجمة تخضع لشروطه، عدا عن ذلك فليعتذر عنها إن هو شعَر أن عمله قد يُوَظّف ضدّ ثقافته على نحو لا فكاك منه.

يجب ألا يتحوّل صوت المثقف إلى طلقة في صدر شعبه

وهو ما يجري للأسف بشكل شبه منهجي في الغرب اليوم، خصوصاً في ظلّ تزايد ظاهرة إرفاق المقدّمات النقدية بالكتب المترجمة، والتي قد يقول فيها المترجِم أو غيره ما يشاء، وهنا يحضرني كتاب «شرق - غرب» لفيديريكو رامبيني («إيناودي»، 2020) الذي أشار فيه الكاتب الإيطالي إلى نهج يتّبعه المترجمون للآداب الشرقية في أوروبا، وصفه بأنه «شرح النصوص من خلال ليّ عنقها»، وهو أسلوب يعتمده المترجمون عادةً لفرض أيديولوجيتهم على النص الأصلي. أما مواصلة الادّعاء بأن ما نكتبه هو محض أدب ينضح بالجمال آملين في أن تقتصر الترجمة على إظهار الصنعة الفنية للكاتب، فهو كلام لا ينطوي على سذاجة فحسب، وإنما على عدم وعي باللحظة المفصلية التي يعيشها العالم العربي، قد يصل إلى حدّ التواطؤ على ثقافتنا في ظلّ ما نشهده الآن من عودة قوية للاستشراق من الباب الخلفي.

حسن أكرم[1]: حرب تدمير العراق في غزة

ما الذي علينا أن نفعله؟ سألت نفسي كثيراً، وأنا أتجرّع الألم أمام الصور التي تصلنا من غزة.

هذه الحرب هي حربي كإنسان عراقي، وتعنيني أكثر من أيّ أحد غيري، عدوّنا واحد، لقد قصفت الطائرات الأميركية العراق بقذائف النابالم، وبوزن يُعادل خمسة أضعاف وزن قنبلة نووية في التسعينيات، ثم عادت لتقصف ملجأ العامرية بصواريخ أرض أرض، وتترك 400 عراقي من النساء والأطفال يُسلقون بحرارة ماء الطوارئ التي وصلت إلى مرحلة الغليان، بفعل الصواريخ الحاقدة.

ولم تتوقّف عند ذلك، لقد استهدفت البنية التحتية العراقية، دمّرت الجسور والمستشفيات والمدارس، هذا ما يفعله العدو الآن في غزة، الحرب نفسها وبالوحشية نفسها تتحرّك تلك الطائرات لتستهدف روح الإنسان قبل جسده، لذا أنا لست متعاطفاً مع القضية الفلسطينية فحسب، بل أعدُّها قضيتي، هذه الأرض أرضي وأرض أهلي.

لذا فكّرت بأن دوري يتحدّد برواية الحكاية الفلسطينية على الناس، تذكير من نسي حقّ فلسطين بالأرض، وتنبيه الجيل الجديد بما يجدر عليهم فعله. كلّ يوم في عملي بالمكتبة أشتبك مع القرّاء حول القضية الفلسطينية، أُذكّرهم بحقّ إخوتنا هناك بالحرية على أرضهم، ونتداول الأخبار المبشّرة لحظة بلحظة.

لقد منحَنا الفلسطينيون الأمل بأن نحلم بالخلاص من هذا العدو الإجرامي. أنا أشدّ المتفائلين بمكاسب هذه الحرب، وقلبي وروحي مع إخوتي هناك. هذه معركة طويلة، تتطلّب صبراً وتضحيات، وبالفعل فإن «تحرير فلسطين كلّها قد بدأ».

1 - كاتب قصة ورواية من العراق

هشام البستاني[1]: التخلّص الكامل من رواسب الاستعمار

يتلخّص ما يُمكن أن تقدّمه الثقافة العربية في أمرين؛ الأول: التخلّص الكامل من رواسب الاستعمار والمنظورات الاستعمارية عبر بناء فكر - ممارسة تحرريّة في مواجهته؛ جزء من جريمة المثقّفين أنهم آمنوا بـ«الحداثة»، وصدّقوا أكاذيب أوروبا الاستعماريّة البيضاء، وشرعتها «الإنسانية»، وخطابها عن «الديمقراطية». هذه الأمور جزء من عنصريّتها، تنطبق عليهم حصراً، لا على «الآخرين الهمَج»، نحن: «الحيوانات البشريّة». تجاهَلنا ماضيها الإجرامي، وحاضرها الإجرامي، وصدّقنا كلامها. «المجتمع الدولي» هو فكرة استعمارية معناها المجتمع الأوروبي الأبيض، والقانون الدولي هو قانون المستعمر الأوروبي الأبيض المُصاغ لصالحه، والمطبّق انتقائيّاً لتحقيق مصالحه. «المجتمع الدولي» هو ما نريد أن نتحرّر منه، لا أن نستنجد به.

لسنا بحاجة لإثبات إنسانيّتنا للمستعمِر الأوروبي. هو صاحب التاريخ الدموي في الأميركيتين وأفريقيا ومنطقتنا وآسيا، هو صاحب محاكم التفتيش والهولوكوست والقنابل النووية، هو والد العنصرية المُعادي للساميّة المسوس برُهاب الإسلام، هو داعم إبادة غزّة، هو الذي عليه أن يثبت بشريته وإنسانيته لنا. «العالم المتحضر» هو خرافة يروّجها الأوروبي الهمجي القاتل المستعمِر عن نفسه ليُحَيّون المستعمَرين «الهمج»، ويبرّر استعمارهم واستغلالهم واستعبادهم وإبادتهم. حان وقت التخلّص بالكامل من رواسب الدعاية العنصرية الاستعمارية الأوروبية البيضاء التي نكرّرها ونثبّتها وندين أنفسنا بها دون وعي.

1 - كاتب من الأردن

اجتثّت السلطات العربية النقد من قائمة مهمّات المثقّف

المشروع الاستعماري الاستيطاني في فلسطين ليس فلتة من فلتات الزمان، بل جزء من غزوة أوروبا البيضاء على العالم غير الأوروبي؛ استمرار لاستعمار الأميركتين وأستراليا وتطهيرها من شعوبها الأصلية، استمرار لجرائمهم في أفريقيا ومنطقتنا وآسيا، لاستعباد الشعوب، ونهب الثروات، والتقسيم. أوروبا وأميركا لا تتضامنان مع وتدعمان الاستعمار الاستيطاني في فلسطين من فراغ. أوروبا وأميركا هما الانطلاقة الأولى، والماضي القريب، والتأصيل الجذري، لما يمثله الاستعمار الاستيطاني، ولقيمه الإجرامية. وهم جميعاً امتدادٌ تاريخي لبعضهم، ولمنطق الاستعمار وعنصريته. معايير مزدوجة؟ تعاطف؟ المستوطنة الأوروبية الصهيونية هنا هي امتداد لتاريخ المستعمرين الأوروبيين الهمجي وإجرامهم وإباداتهم الكبرى، وهي امتداد لتاريخهم التدخّلي اللاحق: النابالم على فيتنام، والصواريخ على ملجأ العامرية، والنووي على هيروشيما وناغازاكي. هذا هو المعيار المُطبّق علينا ولا ازدواجيّة فيه.

حان وقت الاستيقاظ. لا يوجد «تقريب لوجهات النظر» مع الاستعمار الاستيطاني. لا توجد «تسوية» مع الاستعمار الاستيطاني. لا يوجد «بناء جسور» و«إيجاد حلول» مع الاستعمار الاستيطاني. لا يوجد «حيادية» مع الاستعمار الاستيطاني. أنت إمّا مع العدالة أو مع الظلم. الاستعمار الاستيطاني هو جريمة الحرب الأولى، هو العنف الأول المؤسّس، هو بداية العنصرية والقتل والتدمير والتطهير العرقي والتهجير. الاستعمار الاستيطاني هو التمثّل المادي الأول والنهائي للظلم والعنف، وعنف المظلوم التالي لعنف الظالم لا يحتاج إلى تبرير أو تسويغ أو تردّد. هل «يتساوى» العنف عند «الطرفين»؟ قطعاً لا، عنف المستعمِر المستوطن هو عنف القتل والإحلال، عنف أوّل، ومؤسّس، وظالم، وعنف المستعمَر هو عنف الحياة والبقاء، عنف رادّ، وضروريّ، وعادل. فليصمت ذاك الذي يتحدّث عن «التوازن» و«المساواة بين الطرفين». دورنا الثقافي – الفكريّ – الإبداعي، اليوم، هو أن نُعيد قراءة علاقتنا مع الاستعمار والتجربة الاستعماريّة بالكامل، ونقدّم مقاربة تحرريّة منها.

لا يوجد «تقريب لوجهات النظر» مع الاستعمار الاستيطاني

الثاني: هو الموقف من السلطات الحاكمة في المنطقة العربية، وأغلبها متواطئ، لا بل شريك، في تمويل اقتصاد الحرب الصهيوني، وتمويل العدوان على غزة، وإسناد المشروع الاستعماري الاستيطاني. خذ مثلًا حكومة بلدي، الأردن، إذ تموّل المستعمِر الصهيوني وجرائمه بعشرة مليارات دولار من أموال دافعي الضرائب الأردنيّين غصباً عنهم عبر اتفاقية لاستيراد الغاز. مصر لديها اتفاقية مُماثلة بخمسة عشر مليار دولار، دول عربيّة أُخرى تساهم في اقتصاد الصهاينة أو وقّعت اتفاقيات أمنيّة وعسكريّة معهم. هؤلاء جزء من الجريمة، وأكثرية الكتّاب العرب، اللاهثين بسفالة خلف الجوائز المالية والبهرجات الإعلامية والاعتراف والشهرة، صاروا شهود زور على سلطات يفترض أن يفضحوها ويواجهوها.

نجحت السلطات العربية في اجتثاث «النقد» من قائمة مهمّات وأدوات المثقّف، وبالتالي، حان الوقت اليوم لفضح هؤلاء المثقفين، عبيد المال والشهرة والاعتراف، هؤلاء جزء من كارثة الانحطاط الفكري – الثقافي الذي نعيش، وفضح السلطات المتواطئة. اليوم نحن بحاجة لما أسمّيه: «المُفكّر الممارس»، المنخرط مع مجتمعه في إنتاج التغيير باعتباره فعلاً – فكراً إبداعيّاً مستمرّاً، يُعيد موضعة الفكر داخل ديناميكيّة الحركة والتاريخ اللذين لا يتوقّفان. المُفكّر الممارس هو مفكّر مجتمعيّ، جماعيّ، تاريخيّ – ماديّ (يشتبك مع الواقع ويريد تغييره)، موضوعيّ (ينطلق من المصلحة الاجتماعيّة والواقع)، تثويريّ، تحريضيّ، يستدعي شكلاً جدليّاً، نقديّاً، تخليقيّاً للمعرفة، هي حصيلة عمل ذهنيّ في الأفكار وفعليّ في الواقعِ، أفكاره صيرورةٌ متحرّكةٌ تشتبك مع الواقع، فهو يفعل في الواقع إذ يفكّر فيه، ويفعل الواقع في أفكاره إذ يشتبك معه، نقديٌّ دائماً، يُسائل القبول العامّ، يتحرّك بلا قيود، السّلطة عقبةٌ في طريق مشروعه، يشتبك مع السّلطة وينقدها، يهتمّ بفتح المساحات العامّة، ويريد تحقيق تغييرٍ فوقيّ (في السلطة) انطلاقاً من ثورةٍ تحتيّة. هذا ما قد يحقّق لنا نقلة ثقافية استراتيجية تحرريّة في المستقبل.

روني بو سابا[1]: ثقافة المقاومة.. السياقات والوسائل

التفكير بالثقافة في أيّ وقت، ولا سيّما وقت القصف والدمار وتجلّي الهمجية بأبشع صورها هو شكل من أشكال المقاومة المُستدامة. الثقافة من حيث كونها نتاجا بشريّا ترتقي برُقيّ جميع المشاركين في إنتاجها، وتفقُر حين يتراجع الاهتمام بإغنائها. من هنا، كلّ فرد مسؤول عن إغناء أو إفقار النتاج الثقافيّ.

إنّ الجرائم التي يقوم بها الكيان الصهيونيّ مرّة جديدة بغطاء أو صمت - لا فرق - عربيَّين ودوليَّين، يُحتِّم على كلّ إنسان أن يُفكّر في ما يُمكن أن يفعله خدمة لفلسطين. كي أكون واضحاً، ما تُعانيه فلسطين، برأيي، هو نوع من تجلّيات الظلم بين الناس. هي أكثر مَن يُعاني منه، ولكنّها ليست الوحيدة ولن تكون الأخيرة، إذا لم يفكّر الناس بالارتقاء نحو العدالة ومنع سرطان الظلم من التفشّي أكثر في جسم البشريّة.

في هذا الإطار، وانطلاقاً من القضيّة الفلسطينيّة، أعتقد أنّ على المنخرطين في الشأن الثقافيّ أن يُراجعوا دورهم وتأثيرهم كلٌّ في بيئته، إذ إنّهم أوّل المعنيّين بنشر الثقافة وإشراك ناس أكثر بإغنائها. أقصد بالبيئة السياقَ المكانيّ والاجتماعيّ والثقافيّ وسوى ذلك من السياقات. فخطاب الإنسان العربيّ في بلاد الانتشار لا بدّ أن يختلف عن خطابه في العالَم العربي. وخطابه في البلاد ذات الأنظمة الديكتاتوريّة يجدر به أن يُغاير خطاب مَن يعيش في ظلّ هامش من الديمقراطية، وهلمّ جرّاً.

ما سبق يعني أنّ على كلّ منخرط في الشأن الثقافيّ أن يفهم إمكاناته ويُنمّيها ويحدّد البيئة التي سيجسّد فيها مشروعه كي لا يبقى «ظاهرة صوتيّة». فرغم أنّ القضيّة واحدة وثابتة حتّى بلوغ أهدافها وإنصاف فلسطين، إلا أنّ أدوات تحقيقها مُتبدّلة لتُواكِب السياقات وتَبدُّلها.

1 - مترجم لبناني وأستاذ في «جامعة أثينا»

المقاومة من غير ثقافة تؤول حتماً إلى التطرّف وتفشل

لا يختلف اثنان على أنّ وظيفة الثقافة قبل كلّ شيء تنمية الوعي والفكر النقديّ، وهذا لا يتحقّق بلا استقلال تامّ عن كلّ أنواع السلطات. نقد السلطة بشكلها التقليديّ لم يعُد يكفي اليوم. فقد أوجدت الأخيرة أقنعة عديدة تختبئ خلفها؛ ولم تعد تخاطب الناس بوسائل تقليديّة إذ بات بإمكانها استخدام وسائل التواصل الاجتماعي ومنصّاتها العديدة. كلّ هذا يستدعي موقفاً نقديّاً واضحاً وتسخيراً مفيداً لكلّ وسيلة، حتى لا يسود الابتذال ولا تنحصر الثقافة بفئة قليلة منغلقة على ذاتها.

السياقات الثقافيّة، برأيي، لا تقلّ أهمّيّة عن الوسائل؛ ففهم السياقات ضروريّ من أجل تحديد الخطاب الذي يجب أن يصاغ به المشروع الثقافيّ. القضيّة الفلسطينيّة في العالم العربيّ مثلاً تستطيع أن تعبّر عن نفسها حتّى في أشدّ الأنظمة العربيّة قمعاً أكثر ممّا تستطيع ذلك في العالَم الغربيّ. هناك أُطُر تُضيِّق من الحقّ في إيصال المعلومات التي لا توافق عليها حكومات الغرب تحت ذرائع مختلفة. لذلك يجب إدراك هذه الأُطُر جيّداً لمعرفة هوامشها والتحرّك وفقها أوّلاً لتجنُّب القمع الكلّيّ، وثانياً منعاً لِحَرْف الأنظار عن القضيّة عبر اتّهام المدافعين عنها بالسلوك الاستفزازيّ أو التطرّف وسوى ذلك.

معرفة السياق الثقافيّ الغربيّ أمر لا بدّ منه، إذ لا يخفى على أحد أنّ العالم الغربيّ، لا حكّاماً فقط بل شعوباً أيضاً، يزداد انحيازاً إلى العدوّ الصهيونيّ. كيف يُمكن تغيير ذلك من غير وعينا لذاتنا وإبراز غنى الحضارة العربيّة وإسهاماتها على كلّ صعيد، لا سيّما في عصرنا هذا؟ من أفضل السبل إلى هذا هو دعم حركة الترجمة إلى لغات العالم الغربيّ وزيادة الكتابة بها وتفعيل الدبلوماسيّة الناعمة عموماً.

بصرف النظر عن الاقتراحات العَمليّة، هناك مُسلَّمات يحسن على من يعملون في المجال الثقافيّ الالتزام بها، ومنها:

- فَهْمُ البُعد السياسيّ البَحت لقضيّتنا يقود إلى نبذ الخطاب الدينيّ

لأنّ لا علاقة له بها. فالاستعمار والاحتلال والإجرام في كلّ بقاع الأرض كلّها أفعال سياسيّة لا تمتّ لأيّ دين بصلة، وإن حاول البعض إعطاء ذريعة دينيّة لإجرامه.

- العمل على تعزيز التعايُش أينما كان، لأنّه يُحصّن المجتمعات من حَرْف الأنظار عن السياسة، واستغلال الأديان وسيلة وذريعة لمآرب أُخرى.
- إدراك ترابط الثقافة والمقاومة. فالمقاومة بلا ثقافة بدل أن تنجح ستجنح إلى التطُّرف وتفشل. والثقافة بلا مقاومة لاحتلال العقل والأرض على حدّ سواء تفقد بوصلتها. فالمقاومة فعلٌ واعٍ ومُدرِك، أمّا التطرّف فانفعال لا يؤدّي سوى إلى دوّامة من القتل والدمار.

الانحياز الإعلاميّ الغربّي وانتشار هذا الإعلام في بلادنا حتّى، وتراجع شعوب العالم عن دعم قضيّتنا دليل على تقصير أهل الثقافة في رسالتهم. عسى أن تشكّل هذه الجولة من الإجرام الصهيونيّ بحقّ فلسطين صدمة تزيد من اهتمام كلّ عربيّ، في بلاده أو في بلاد الانتشار، بنشر ثقافته والتعريف بها. فحضارتنا لم تقم إلا على التفاعل الخلّاق بين الشعوب، وهذا أكثر ما يحتاجه عالمنا، اليوم، لتسود فيه العدالة والإنصاف لفلسطين وكلّ مظلوم.

عبد الرحمن الإبراهيم[1]: أهمية استدعاء التاريخ

فلسطين قضية العرب والمسلمين منذ اجتاحتها العصابات الصهيونية عام 1948، وسيطرت على أجزاء من أرضها. منذ ذلك الحين، وقبله أيضاً، كان للشعوب العربية دورٌ في مقاومة هذا الكيان المُحتلّ في نواحٍ عديدة: عسكرية وثقافية ورياضية وتاريخية. وبما أنّ الثقافة في أحد تعريفاتها «هي المعرفة التي تُؤخَذ عن طريق الإخبار والتلقّي والاستنباط»، فالتاريخ جزء أصيل من هذه الثقافة التي يجب أن تُستخدم كأداة للتحرُّر.

من يُتابع التغطيات عن غزّة وعموم فلسطين في هذه الأيام، يجد أنّ التاريخ يُغطّي جزءاً كبيراً من هذه الأحداث خصوصاً في العالَم الغربي. فالنقاشات الدائرة بين الفريقين حول «أحقّية الصهاينة» بأرض فلسطين من واجب المثقّف العربي نقْضُها، وهو دور أصيل للمثقّف. فالسياقات السياسية، اليوم، تغيّرت عمّا كانت عليه قبل عشرين سنة، فصرنا نجد دولاً عربية وخليجية نحَت منحى التطبيع، وصار انتقاد الكيان الصهيوني غير مرحّب به في هذه الدول إن لم يكن مُجرّماً.

مثل هذه النقاشات التاريخية حول الحقّ التاريخي للفلسطينيّين والعرب في أرضهم مُدعّمة بالأدلّة والوثائق والمنطق، ومع ذلك فإن إبراز وجهات النظر المؤيّدة لهذا الحقّ، من قِبل مؤرّخين مُنصِفين، مثل المُؤرِّخ الإسرائيلي إيلان بابيه، المعروف بنصرة القضية الفلسطينية أمر محمود. يذكر بابيه في مقابلة له مع «موقع الجزيرة» عندما تم سؤاله عمّا إذا ترك الفلسطينيون أرضهم طواعية عام 1948، كما تُروّج ماكينة الإعلام الغربية، فأجاب: «لا، ليس صحيحاً، لكنهم أصبحوا لاجئين وضحايا لعملية تطهير عرقي أعدّتها القيادة الصهيونية في أوائل ذلك العام، ونُفّذت لمدّة تسعة أشهر حتى نهايته. حينها، طُرد أكثر من نصف سكّان فلسطين، ودمّرت نصف قراها ومعظم مدنها».

قضية التطهير العرقي، وإن كانت واضحة لدى العالَم العربي، إلّا أنها بحاجة لمزيد من تسليط الضوء عليها في العالَم الغربي، إذ إن القرار في النهاية يُصنع

1 - باحث وأكاديمي من الكويت

هناك وليس هنا. ما يقوم به النشطاء في مواقع التواصل الاجتماعي وعلى شاشات التلفزة، هو جزء من المقاومة وأداة مهمّة من أدوات مقاومة الاحتلال.

على الصعيد الداخلي في الدول العربية، من أفضل أدوات المقاومة الثقافية تذكير الأجيال الحديثة بتاريخ ونضال آبائهم وأجدادهم في مقاومة الكيان الصهيوني منذ نشأته. في الكويت على سبيل المثال، بدأ الدعم الشعبي للمقاومة منذ 1936، على الرغم من أن البلاد لم تكن قد استقلّت بعد، في تلك الفترة، لكن كان هناك دعم شعبي من خلال التبرّعات لفلسطين. واستمرّ هذا الدعم على امتداد العقود الماضية وصولاً إلى اليوم. إن استدعاء التاريخ، اليوم، وتوعية الأجيال الحديثة مهمّان جدّاً، خصوصاً أن القيادة السياسية في الكويت، لا تزال داعمة لفلسطين والقضية الفلسطينية. ومن هنا فإن التركيز على تاريخ المقاومة وتاريخ الدعم الكويتي للمقاومة، يُعزّز مركزية القضية الفلسطينية في الذهنية الكويتية.

من المُلاحظ وجود أصوات خافتة اليوم تُطالب بعدم دعم القضية الفلسطينية، بسبب موقف منظّمة التحرير عام 1990 من الغزو العراقي. هذه الأصوات في حال تركها وعدم مقاومة مثل هذه الادّعاءات الباطلة سيكون لها صوتٌ أعلى في المستقبل، لأنها اليوم تربط مثل هذه الحجج الواهية بالإعلام الغربي وطريقة تعاطيه مع الموضوع. قطعاً إن استدعاء التاريخ وإبراز دور الشعوب في نصرة القضية الفلسطينية، من الجوانب الثقافية التي تُعزّز إيمان الأجيال بهذه القضية الحقّة. كما أن الاستمرار في توعية الشعوب بأن ما حصل في نكبة 1948 كان إبادة جماعية، وأنّ الحقوق لا تتساقط بالتقادم، من واجبات المثقّف العربي. كما أنّ الضغط الشعبي على الحكومات في تجريم التعامل مع الكيان الصهيوني، من الخطوات العمَلية الفاعلة للمثقّف التي يُمكن من خلالها نصرة القضية والمقاومة.

أخيراً، وفي الكويت على وجه الخصوص، هناك دور مهمّ للمثقّفين والأكاديميّين لاستغلال هذه الفرصة والضغط على نوّاب «مجلس الأمة» الكويتي لإصدار قانون يُجرّم التعاطُف مع الكيان الصهيوني، ويمنع الحكومة من التطبيع في المستقبل، لأنّ مثل هذا الموقف يُعتبر من الطُّرق الفاعلة في مقاومة الكيان المحتلّ.

الثقافة العربية واختبار فلسطين... ما العمل؟ (4)

التاريخ: 2023/10/26

المصدر: العربي الجديد

الكاتب: غير مَحدّد

السابع من تشرين الأول/ أكتوبر الجاري، التي رأت فيها الشعوب العربية بشائر تحرير وحرية؛ ماذا يمكن أن تفعل الثقافة العربية للقضية الفلسطينية؟ كيف تُصبح الثقافة أداة تحرُّر وتحرير للأرض والإنسان؟ وكيف يمكن أن تقاوم الثقافة العربية هيمنةَ المشروع الصهيوني على العالم العربي من خلال التطبيع والترسانة العسكرية والسيطرة على الإعلام والدعم الأميركي والغربي، وأي أدوات نمتلك؟

شاركنا في «العربي الجديد» هذه الأسئلة مع كتّاب ومثقّفين عرب، في محاولة تفكير جماعي بما يمكن للثقافة العربية أن تفعله الآن - وفي لحظات مفصلية قادمة - في طريقها إلى التحرّر والعدالة الاجتماعية وإنهاء الوقائع الاستعمارية والاستبدادية.

نجوان درويش/ القدس المحتلة

رشيد بوطيب[1]: ثقافة متواطئة ومثقّف مستقيل

عندما نتحدّث اليوم عن ثقافة عربية، فماذا نعني بذلك؟ هل نقول شيئاً حقيقياً؟ رُبّ سائل: ألم تصبح هذه الثقافة مرتهنة لمؤسّسات وأجندات وسياسات ترسم حركاتها وسكناتها؟ ألم تعد مجرد طقوس احتفائية، يديرها سماسرة ودخلاء؟ ألم تتراجع بشكلٍ فظيع عمّا كانت عليه قبل عقدين أو ثلاثة؟ جيلٌ بأكمله سُرق منها وآخر يُسرق اليوم؟ ألا تكذب هذه الثقافة على نفسها في وضح النهار وهي تعتقد أنّها تمارس فكراً أو نقداً أو تُنجز أعمالاً إبداعية؟ وهل يمكن وصف هذه الثقافة المنفصلة عن قدر مجتمعاتها وعن أسئلتها بالثقافة الحية؟ وحين نتحدّث عن هذه الثقافة، فنحن نتحدّث أيضاً عن مثقفها، الذي لا يمارس الثقافة لأنّه مقتنع بدورها التنويري والنقدي، بل يمارسها بعقلية التاجر أو السمسار.

لا أسئلة حقيقية له، يكتب في كلِّ شيء، ولكنّه لن يجرؤ على الكتابة عن واقعه. يستسهل مهاجمة الموتى ومهاجمة الآلهة، ولكنّه يولي الأدبار أمام مآسي الراهن، ولا يظهر له صوت في وقت الأزمات الكبرى. لا تشعر به متعاطفاً مع شعبه، وهو كثيراً ما يُعلن احتقاره له ولثقافته. معجبٌ أبديٌّ بالغرب، رغم أنّه لم يعرفه، وإن عرفه، فمن خلال شعاراته الكبرى. الحداثة لديه مجرد قشرة خارجية، يتغنّى بها ولكنّه لا يمارسها، وأنّى له ذلك، والحداثة موقفٌ من العالم، من السياسة والمجتمع والدين. وهو لم يتعوّد أن يكون له موقف.

موقف نقديّ واضح وتسخير لكلّ وسيلة كي لا يسود الابتذال

لم تفكر ثقافتنا في الحروب المستمرة والهزائم المتوالية، لم تفكر في الضحايا أو في الحصار الذي قتل أكثر من مليون طفل عراقي. لم تفكر في حصار غزة الأبدي، في القنابل الديمقراطية التي تمزّق الأطفال والنساء، ولم تفكر في الأجيال الهاربة إلى الغرب بحثاً عن الخبز، ولا في الحب ولا في الحياة. لم ترَ ضرورة للتفكير في وضع المرأة داخل المجتمع، ولا في التربية، أو في العنف على الأطفال، لم تفكر في الأشياء

1 - باحث وأستاذ فلسفة من المغرب

الصغيرة ولكن الحقيقية، لأنّها أدمنت الأوهام الكبيرة، ولم تتضامن مع شعوبها العربية في العراق واليمن وليبيا وسورية ولبنان. والقائمة ما زالت مفتوحة.

بل تضامنت مع أنظمة العسكر والممانعة والمحاصصة الطائفية. وحتّى إذا أرادت أن تنتقد، ستجدها تنتقد الأعراض لا الأسباب، تنتقد التقليد، ولكنّها لن تفكّر في علاقته بالنظام الرأسمالي. تهاجم الطائفية ولكنّها تمارسها فكراً وسلوكاً. وباسم حداثتها الزائفة والمزيّفة، ستهاجم الإسلام وتعلّق به كلَّ أسباب تخلّفنا، وسيطرب الغرب لذلك، وتباركه الديكتاتورية.

لا بدَّ لنا أن نعترف بالحقيقة المُرّة التي تقول بأن ثقافتنا العربية الراهنة أو ما نسميه كذلك ليست في مستوى واقع الشعوب العربية وقضاياها المُلحّة. وأن الصخب الموسمي الذي يرتفع هنا وهناك لا يصنع ثقافة مُلتزمة واقعها، فهو إمّا غارقٌ في العاطفية؛ والعواطف رغم نبلها لا تغّير واقعاً بل قد تؤبّده، وإمّا تعبيرٌ عن مصالح طائفية ضيّقة ومقيتة، وإمّا هو لسان حال أنظمة سياسية فاقدة للمشروعية. إنّه تعبير عن فراغ كبير هو هذا الصخب، وعن ضعف وأزمة كبيرين.

ومشكلة هذه الثقافة أنّها غير واعية بذلك، فما دامت تُنتج كتباً وأفلاماً وبرامج تلفزيونية، وتنشر صحفاً وتنظّم جوائز ومعارض أو احتفاليات ثقافية، أو توزّع أوسمة ومناصب، فهي تعتقد أنّها تؤدي دورها، وأنّ دورها لا يتجاوز ذلك. ولكنّنا نادراً ما نقرأ واقعنا من خلال تلك الإنتاجات، بل في غالب الأحيان، لن تكون أكثر من عالة على الحاضر وعقبة أمام فهمه، أو هي جزء من صناعة الوعي المستقيل.

في كتابه: «الثامن عشر من برومير لويس بونابرت» يكتب ماركس أن «الثورة... لا تستقي شعريّتها من الماضي، ولكن من المستقبل». إنّ ذلك شأن كلّ الثورات، وليس السياسيّة منها فقط. غير أنَّ هذا المستقبل لا يمكن أن نفهمه دون مراجعة نقدية للماضي والحاضر. وهذا ما لم تقم به ثقافتنا، أو لم تقم به إلّا بشكلٍ إيديولوجي. إنَّ عليها أن تتحلّى بالتواضع، وفي أقسى لحظات العنف الذي يمارسه الغرب علينا، يجب عليها أن تتعلّم من الحداثة وتواجهها من داخلها، وأن تحذر من أولئك الذي يحدّثونها عن الهوية والأصالة، لكي يخرجوها من الكونية، حذرها من العنف الذي يمارس عليها باسم هذه الكونية.

أزراج عمر[1]: تحرير أبنية الفكر

لا يمكن أن يقف أي مثقف، شاعراً كان أو روائياً، ناقداً أو فيلسوفاً، مفكّراً أو فناناً، متفرّجاً على أي عدوان يُرتكب ضد الأبرياء في أيّ مكان في هذا العالم. والحقيقة، أنَّ الشعب الفلسطيني ما فتئ يعاني من هدر إنسانيته، ولا بدَّ من أن يستيقظ الضمير البشري النائم لإنصاف هذا الشعب ومنحه حقوقه في إطار الشرعية الدولية.

لا أحُّب أن أتحّدث بلهجة التفكير والرغبة الرومانتيكية عن إلحاق الهزيمة بـ»إسرائيل» في معركة غير متكافئة، لأنَّ الاحتلال لا يزال قائماً. أرى من موقعي في الغرب، وبكل صراحة، أنَّ الثقافة العربية ليس لها أيّ تأثير جدّي في تشكيل الرأي العام وبخاصّة في أوروبا - الغرب، لأنَّ هذه الثقافة لم تبلور رؤية جديدة وحديثة قادرة على أن تغيّر وجهات النظر تجاه القضية الفلسطينية، وتجاه قيم الفضاء المدعو بالعربي مشرقيّاً، على نحو محدّد. الثقافة العربية متراجعة وتفتقد طاقة المقاومة للتعريف بنفسها. وأعتقد أنّه حان الأوان لأن نطرح هذا السؤال: ماذا تفعل الثقافة العربية لنفسها أوّلاً؟ لأن هذه الثقافة صارت ضحية التمركز في الطائفية، والقبلية، والعشائرية، والشلّلية، ومستنقع الدكتاتورية الذي يُعاد إنتاجه باستمرار.

لا يمكن أن تفعل الثقافة العربية، بصيغة الجمع، أي شيء للفلسطينيين ما دامت رهينة هذه المواقع المذكورة. إنّها ثقافة دون أي مشروع حضاري، ومَن يفتقد مشروعاً كهذا، فإنّه لا يقدر أن يلعب دوراً تنويرياً في فضاء الوعي العالَمي لصالح قضية عادلة مثل القضية الفلسطينية. على الثقافة العربية أن تحّرر نفسها، أوّلاً، قبل أن تزعم أنّها ستسعى، أو يسعى أصحابها، لتحرير الفلسطينيين من الكولونيالية الاستيطانية الإسرائيلية التي تُدعم من القوى الغربية، وتُعيد إنتاج سلوكها الأنظمة السائدة في بلداننا.

1 - كاتب وشاعر من الجزائر

يجب أن «نحارب» على جبهتين: الكولونيالية الداخلية والخارجية

والبيّن، في تقديري، أنَّ الصف الفلسطيني مُنقسم. فهناك جزء على الأقل من الضفة الغربية يقول على لسان رئيس السلطة الفلسطينية، بلا أقنعة، أو لف أو دوران، بأنَّ أفعال تنظيم حماس الفلسطيني في غزة لا تمثّل الشعب الفلسطيني، وهناك الجزء الآخر في غزة يقول بأنّ كل ركام أوسلو والنتائج المترتبة عنه لن تقود فلسطين إلى التحرّر، وبناء الدولة الفلسطينية المستقلّة والمتطابقة مع مضمونها الوطني. أمّا على مستوى الشرائح السياسية والثقافية والفكرية الفلسطينية، فهناك ضباب الانقسام أيضاً، حيث ثمّة مجموعات تدعو إلى دولة بشعبين يتعايشان معاً، وكان محمود درويش وإدوارد سعيد يمثلان هذا الموقف، تمثيلاً لا حصراً. نحن، إذن، أمام غياب رؤية فلسطينية موحّدة تجاه صورة الدولة التي ينبغي أن تقام وتمثل الإثنيّات كافة. أعتقد أنَّ هذا الانقسام سياسي، ويعبّر عن انقسام داخل الثقافة الفلسطينية وداخل الثقافة العربية التي تمثّل الأنظمة الحاكمة على الأقل.

أعتقد أنَّ الشرط الأساسي لكي تصبح الثقافة أداة تحرّر وتحرير الأرض والإنسان يتمثّل بأن يقرأ العرب والإثنيات التي تعيش إلى جانبهم سلاسل تراث المقاومات التي ما فتئت تحاول تحرير أبنية الفكر والفن والآداب التي أنتجها الإنسان عندنا. من دون تحرير الذوات الفرديّة والمجتمعات عندنا من العناصر الثقافية والنفسية المُنتجة للتخلّف ولقابلية الاستعمار؛ التي هي ظاهرة تبدأ أوّل ما تبدأ عندما تتحوّل أجزاء من الثقافة الوطنية إلى أداة قهر الإنسان ببلداننا، فإنَّ التحرّر من الكولونياليات الخارجية العسكرية والثقافية والقيمية والاقتصادية والنفسية لن يُنجز كمشروع، بل سيبقى مجرد سردية في شكل أمنيات مُزركشة. في هذا الصدد، ينبغي لهامش ثقافة المقاومة عندنا أن «نحارب» على جبهتين متزامنتين ومترابطتين، هما: الكولونيالية الداخلية والخارجية.

أعتقد أنّه ينبغي للمثقفين عندنا إعادة قراءة الفيلسوف الاجتماعي والطبيب

النفساني الفرنسي فرانز فانون، الذي طرح منذ أكثر من ستين عاماً مشروع التحرّر من الاستعمار. كذلك يجب أيضاً إعادة العلاقة المنسيّة مع ما أدعوه مشاريع نزع أشكال استعمار المجتمع من طرف ثقافة وإدارة السلطة للحكم عندنا. فالمشروع الصهيوني وتطبيقاته المتواصلة، بدعم قوى معروفة، ينجح ببلداننا جرّاء وجود عناصر وبنيات ثقافية واجتماعية وسياسية تتشابه معه، أو لنقل، من فصيلته، وتتجاوب معه، وغالباً ما تتحالف ربّما، دون وعي في أغلب الأحيان. عندما نُشرع حقاً في إزالة هذه العناصر والبنيات، وفي إخلاء مستعمراتها المختفية في «وعينا» و«لا وعينا» الفردي والجمعي، حينئذ فقط نبدأ بالسير على طريق اكتشاف ماذا ينبغي أن نفعله كي نؤسّس وجودنا النوعي في هذا العالم. ولكن، أنا يائسٌ طبعاً.

حسن بولهويشات[1]: رهانٌ على المثقف المستقل

يتعرّض الشعب الفلسطيني لأكبر إبادة جماعية من طرف الكيان الصهيوني على مرأى ومسمع ما يسمى بـ»المجتمع الدولي». ولقد بدا واضحاً أن نتنياهو مجرمٌ أبله يريد قتل الفلسطينيين دفعةً واحدة وفي أسرع وقت ممكن. وتدعمه الولايات المتحدة الأميركية في هذا المشروع الإجرامي، وهي الراعي التاريخي للاحتلال منذ 1967، قبل أن تفصح عن دعمها المطلق والمباشر للاحتلال بعد عملية طوفان الأقصى، وتُرسل حاملات طائرات ومعدّات الهجوم الجوي، بل حشدت حلفاءها والمجتمع الغربي للإجهاز على الحق الفلسطيني في الأرض والحياة. في الوقت الذي أرسل القادة العرب إلى فلسطين الكثير من الأدعية في المساجد!

تدعم أميركا وحلفاؤها إسرائيل بالمعدّات العسكرية، مقابل الصمت العربي الرسمي ككلّ مذبحة ومجزرة. وحدها الشعوب خرجت في مظاهرات شعبية في الرباط والقاهرة وبيروت وبغداد وعمان وصنعاء وتونس وغيرها من العواصم والمدن العربية. وهي كلّها تدين العدوان الهمجي على سكان غزة وما يتعرضون من قصف صاروخي على مدار النهار والليل فارتفع عدد الشهداء والجرحى في الشوارع وتحت المباني المهدّمة. ولقد تمّ الإجهاز بالمرّة على البنية التحتية في قطاع غزة، بل لم يتورّع الجهاز العسكري الصهيوني، الذي قصف المستشفيات، عن إصدار أوامره للكوادر الطبية بالانسحاب وإخلاء المستشفيات في الوقت الذي تكتظ فيه الأسرّة والممرات بالجرحى. من دون احتساب عدد المرضى الممددين تحت أنابيب التنفّس الاصطناعي وهم في حالات حرجة.

وما عساها أن تملك الشعوب المقهورة غير الهتاف والصراخ في الساحات العمومية؟ لكنّه صراخٌ مهم على الأقل أمام الجبن العربي الرسمي، وفي وقت تَزايَد التطبيع العربي الإسرائيلي، وانخرطَ الطرفان في تعاونٍ مشترك يهم المجالات الحيوية، بما في ذلك المجال العسكري والاستخباراتي. وقد جنّدت الحكومات العربية قنواتها ومثقفيها للدفاع عن مشروع التطبيع وتجميله. فيما وجد المثقف العربي نفسه

1 - شاعر وكاتب مغربي

مجبرًا على التطبيع والرضوخ لحسابات وأجندة المخزن، بل إنّ كثيرًا من بيانات التضامن التي تصدرها اتحادات الكتاب والمنظمات الثقافية والأدبية بالعالم العربي، بمناسبة أو بأخرى، تُحرّرُ بإيعاز من دواوين الوزارات العربية. نتحدّث عن المثقف المدجّن الذي يصطف ضد الشعوب ويشكّل خطرًا عليها، حين انبرى يبرّر تعسّف السلطة ويجد مخرجات لكل مجزرة عربية.

ومع ذلك، يبقى الرهان الكبير على المثقف المستقل الذي يؤمن بحق الشعب الفلسطيني في أرضه، وحق العودة لجميع المهجّرين. نراهن على المثقف الذي يحتفظ بمسافة كبيرة من المؤسسات، ويملك الضمير الفكري وينتصر للقضية ويندّد بمجازر إسرائيل. ويفضح المشروع الصهيوني الذي اتسعت قنواته وأصبح يهدد الثقافة العربية التي تراجع دورها بسبب تأثّرها بثقافات وأيديولوجيات لا تتوافق مع منجزها الحضاري ولا مع معطيات المنطقة وتاريخها. وإن كنّا نسجل بطء وتردّد المثقف العربي في التعاطي مع المتغيّرات الفكرية والتفاعل مع الأحداث الآنية، وخير مثال ما شاهدنا إبّان اندلاع ثورات الربيع العربي التي أزاحت البساط من تحت الأحزاب والنقابات العمالية، ومن تحت المثقف الذي اكتفى بدور المتفرّج، وفي أحسن الأحوال دور الإطفائيّ.

تحرير الذات الفرديّة والجماعية من العناصر المُنتجة للاستعمار

نلوم المثقف العربي ونُحمّله المسؤولية التاريخية بخصوص ما يقع في غزة. ونثق في قدرة المقاومة الفلسطينية على انتزاع حقّها في الأرض والحرية. ونثق في قدرة الشعوب العربية وغير العربية على مواصلة الاحتجاج والضغط على حكوماتها وعلى المجتمع الدولي لإيقاف الإرهاب الإسرائيلي. ونلوم أنفسنا كتّاباً وشعراءَ لأننا لا نملك غير الكلمات الغاضبة نرشق بها الصمت العربي من المحيط إلى الخليج. أمّا الأشعار والسرديات المطوّلة التي تؤرّخ للجرح الفلسطيني، فيكفينا هذه الأيام مشاهد الرعب التي تطلع علينا في التلفزيون العربي. بينما منصات التواصل الاجتماعي تمَّ التضييق عليها هي الأخرى، وذلك حين ضاق صدر مارك ورفاقه بالمنشورات التي تدعم فلسطين، وأراد أن يضع الكمامات على أفواهنا.

عماد عبد اللطيف [1]: توسيع دائرة المقاطعة ومواجهة الثقافة الاستعمارية

الثقافة ساحة من ساحات الحروب من أجل التحرير والاستقلال. فالشعوب الحرّة تتخلّص من التبعية الذهنية والثقافية قبل أن تتحرّر من الاحتلال المادّي والعسكري والاقتصادي. ولكي تستطيع الساحة الثقافية العربية دعم الشعب الفلسطيني المُحتّل في كفاحه المشروع من أجل استرداد حقوقه أقترح؛

أولاً: تنسيق الجهود الثقافية المقاوِمة للاحتلال، لا سيما جهود المؤسسات والكيانات المستقلّة مثل اتحادات الناشرين الوطنية والإقليمية، واتحادات الكتّاب القُطرية والإقليمية والنقابات المِهنية ذات الصِّلة بالثقافة والإبداع مثل نقابات المهن الفنية والتمثيلية والفنانين التشكيليّين والموسيقيّين وغيرها.

وأرجو أن يكون هناك كيان مُعبّر عن هذه المؤسسات داخل القُطر الواحد، وعلى مستوى العالم العربي، وأن تنشر بيانات إدانة لجرائم الاحتلال، وتحثّ أعضاءها على المساهمة كلّ بحسب فنّه وإبداعه في مُساندة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وأرجو أن يكون هناك لجنة تنسيق عليا بين هذه المؤسسات، تُخاطِب نظيراتها في العالم للتعريف بالأُسس الأخلاقية والقانونية والشرعية لمقاومة الاحتلال، وتُفنّد الدعاوى الغربية المُضلّلة التي تسعى إلى إدانة المقاومة، وتدعم الإرهاب الدولي الذي تُمارسه «إسرائيل».

ثانياً: الدعوة إلى مشاريع فكرية وثقافية وفنّية وأكاديمية طويلة المدى تستهدف توعية العرب وغير العرب بحقيقة الصراع الذي يخوضه الشعب الفلسطيني من أجل حرّيته. يُمكن أن تشتمل هذه المشاريع على معارض فنّية لمجازر الاحتلال، وأفلام تسجيلية توثّق جرائمه، وكتابات سردية تتّخذ من قصص كفاح الفلسطينيين ومعاناتهم موضوعاً لها، وأشعاراً تقدّم صياغة جمالية للمأساة الفلسطينية، ودراسات عِلمية تحلّل خطابات التلاعُب والتضليل الغربية بشأن الاحتلال الإجرامي، وأغان تدعم المقاومة، وتخاطب الضمير

1 - باحث وأكاديمي مصري

الإنساني العالمي، وغيرها. ويمكن أن تقوم المؤسسات الفنية والإبداعية برعاية هذه المشاريع على مدى زمني طويل، بعد وضع خُطط لها.

ثالثاً: مقاطعة الفعاليات والأنشطة الثقافية والفكرية والفنّية التي تقدّمها جهات داعمة للاحتلال عربيّاً وغربيّاً. فللأسف الشديد على مدار العقود السابقة تحالفت بعض الدول الغربية والعربية مع دولة الاحتلال، في وضع خطط لفرض الصمت على المُبدعين، في ما يتعلّق بموقفهم من القضية الفلسطينية تحديداً. قامت هذه الخطّة على إغراء مثقّفين وفنانين وأدباء ومُبدعين عرب بالجوائز والدعوات المجانية والنشر المدفوع والمعارض والمهرجانات وغيرها؛ كي يصمتوا عن نقد الاحتلال، ويتوقّفوا عن إنتاج أعمال تكشف جرائمه، وتنتقد المتواطئين والمتحالفين معه.

واستُعمِل مَنْحُ هذه العطايا وحجبها وفق سياسة «الجزرة والعصا»، إذ تُمنح لمن ينصاعون لسياسات الجهات المانحة، ويُحرم منها من ينحازون إلى القيمة والمبدأ والأخلاق الإنسانية، مهما كانت جدارتهم باستحقاقها. ومن الضروري تشكيل رأي عام جماعي بين النُّخب المُبدعة يعي مخاطر هذه المؤسسات، وتوسيع دائرة فضحها ومقاطعتها، لا سيما ما تنظّمه وتشرف عليه دول عربية أقامت علاقات تطبيعية مع «إسرائيل» خلال السنوات القليلة الماضية، والتي تتّخذها «إسرائيل» غطاءً لستر أنشطتها وسياساتها وخططها للسيطرة على العقل العربي.

رابعاً: الوعي بالثقافة الاستعمارية الداعمة للاحتلال، ومواجهتها: فالأفكار العدمية، والمذاهب العبثية، والدعاوى التي تفصل الإنتاج الثقافي والفني عن قضايا المجتمع، تُستغل لعزل النخبة الثقافية والفكرية عن القضايا الأساسية لمجتمعاتهم مثل الحرية والعدالة والمساواة ومقاومة الهيمنة والاستعمار. وهذه النخب التي تشكّل عقل المجتمع، يجب أن تكون طليعة الدفاع عن قيم المجتمعات العربية ومستقبلها، وفي القلب من ذلك الدفاع عن الشعوب المحتلة، وتقديم أعمال أدبية وفنّية وفكرية تقاوم المحتلّ، وتكشف جرائمه ضدّ الإنسانية.

محمد العتابي[1]: حكايتنا هي المقاومة

في خطابٍ لأحد قادة السكّان الأصليين لأميركا، والذين يُسمّيهم الرجل الأبيض الغاصب بـ«الهنود الحمر»، يرى بأن أحد أسباب استمرار الدمار الذي لحق بهم هو رحيل قصصهم برحيل عجائزهم، وأنّ أهم ما يمكننا توريثه لأجيالنا يُمكن تلخيصه بجملتين: «من نحن» و«ما هي حكايتنا؟». نحن الشعوب التي اعتدى عليها الصهاينة، وسلبوها أرضها، حكايتنا هي المقاومة وحُلم العودة الذي لا بدّ منه في يومٍ من الأيام.

فيما يخصّ دور الثقافة العربية في مواجهة العدوان الصهيوني ودعم المقاومين في فلسطين، أقول لطالما آمنّا بأن الكتابة هي عملية مُقاومة للنسيان ودفاع عن الذاكرة، ومن خلال الكتابة نستطيع أن نُخلّد مآسينا وانتصاراتنا، ونُسجّل سرديّتنا وحكايتنا لتأخذ مجراها للخلود.

العمل الثقافي ليس مقتصراً على العمل الإبداعي بفنّياته وأدواته فحسب، بل يتجاوزه في تسجيل المواقف وتنظيم الصفوف، وأفضل تمثيلٍ لذاك هو تسجيل العرب مقاطعتهم الواضحة، من مؤسسات ثقافية وأفراد، لـ«معرض فرانكفورت الدولي للكتاب» اعتراضاً على عدم حياديته وانحيازه للموقف الصهيوني، وإلغائه تكريم الكاتبة الفلسطينية عدنية شبلي، وهذه الأفعال تأتي في سياق ازدواجية المعايير الغربية التي تُنافي ثوابتهم المزعومة حول المساواة والعدالة والإنسانية.

من واجب المؤسسات الثقافية والكتّاب والصحافيين العرب، العمل على حماية التراث الثقافي والعِلمي الفلسطيني، وإحياء ودعم الأدب الفلسطيني، ونشر الكتب الداعمة لموقف فلسطين، والإضاءة على ترجمات لأصوات غربية وعالمية داعمة للقضية الفلسطينية، لأصحابها وجهات نظر داعمة للحقّ الفلسطيني.

تحية إجلال للمقاومة الفلسطينية التي لقّنت الكيان الصهيوني أقسى الدروس، وأثبتت مرّة أُخرى أنّ المُقاوم لا يُهزَم، وأنها الخيار الوحيد لتحقيق العدالة لهذا الشعب.

---

1 - شاعر من العراق

الثقافة العربية واختبار فلسطين... ما العمل؟ (5)

التاريخ: 2023/10/31

المصدر: العربي الجديد

الكاتب: غير مَحدّد

في وقت يرتكب فيه كيان المستعمرة الصهيونية جرائم إبادة مستمرّة في فلسطين، يمكن مقارنتها بأكبر فظائع القرن العشرين، بغطاء أميركي وأوروبي، بعد هزيمته العسكرية أمام شجاعة الإنسان الفلسطيني المقاوم في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر الجاري، التي رأت فيها الشعوب العربية بشائر تحرير وحرية؛ ماذا يمكن أن تفعل الثقافة العربية للقضية الفلسطينية؟ كيف تُصبح الثقافة أداة تحرُّر وتحرير للأرض والإنسان؟ وكيف يمكن أن تقاوم الثقافة العربية هيمنةَ المشروع الصهيوني على العالم العربي من خلال التطبيع والترسانة العسكرية والسيطرة على الإعلام والدعم الأميركي والغربي، وأي أدوات نمتلك؟

شاركنا في «العربي الجديد» هذه الأسئلة مع كتّاب ومثقّفين عرب، في محاولة تفكير جماعي بما يمكن للثقافة العربية أن تفعله الآن -وفي لحظات مفصلية قادمة- في طريقها إلى التحرّر والعدالة الاجتماعية وإنهاء الوقائع الاستعمارية والاستبدادية.

نجوان درويش/ القدس المحتلة

جلال الحكماوي[1]: الترجمة كمقاومة

إنّ مشاهد الإبادة الجماعية والتطهير العرقي والتمييز العنصري التي تطحن في هذه الأثناء شعبنا الفلسطيني المقاوم، الواقف كالعاصفة في وجه الصمت العربي والغربي اللاأخلاقي، تفقأ عيوننا وتُدمي قلوبنا ونحن نشاهدها على شاشات تلفزيونات العالم وعلى الشبكات الاجتماعية حين لا تحجبها. ورغم فداحة المشهد، فالسؤال الذي يطرحه الإنسان العربي العادي اليوم هو: لماذا يصطفّ الغرب وراء نظام محتلّ قاتل مُجرم؟ هذا الغرب الذي غزا عقولنا وثقافتنا بـ»قيمه الكونية».

الآن يكيل بمكيَالين: الحياة للقاتل والموت للضحية. هذه الازدواجية يمكن لنا أن نُحلّلها من الناحية الثقافية، إذ دخلت الحداثة الغربية مجتمعاتنا الثقافية من نافذة عنف الاستعمار وبقيت رغم رحيله متمكّنة من بنياتنا الفكرية والثقافية والذهنية من خلال اللغة والبنيات المعرفية والفكرية في مدارسنا وجامعاتنا ومؤسّساتنا الثقافية.

ويمكننا الوقوف على هذه الهيمنة في العلاقة بين الغرب والشرق في مجال الترجمة؛ فالترجمة في العالم العربي نقلت النصوص الغربية الأدبية من دون مرجعية نقدية للأيديولوجيات المتحكّمة فيها؛ وهكذا وجّهت عملها إلى الوجه اللامع من الغرب دون أن تنتبه إلى أن صورتنا الباطنية عنده، والتي تتمثّل في أنّنا شعوب «متخلّفة» يجب أن تتحضّر من بداوتها ووحشيتها وتصير خادمة له ولثقافته.

والقليل الذي ينشره الغرب يدخل في هذا التصوُّر. وكما يقول المؤرّخ الفرنسي باتريك بوشران، فإن ترجمة القرآن تمّت بطلب من القسّ المسيحي كلوني سنة 1143 للميلاد لمعرفة العدوّ، أي المسلمين، للقضاء عليهم في سياق الحروب الصليبية. وما زالت هذه البنية الفكرية تعمل إلى يومنا هذا. وفي سياقها، نجد أيضاً أنّ الخلفية المؤسّسة على التفوّق الحضاري وتحقير الآخر في بنية الفكر الاستعماري ما زالت فاعلة في مجتمعاتنا من خلال اللغات الأجنبية وثقافات

1 - شاعر ومترجم من المغرب

الاستهلاك. وهذه عقلية ما زلنا نعيشها مع غالبية كتّاب اللغة الفرنسية في المغرب الكبير؛ حيث المستعمَر يتبنّى منطق المستعمِر.

وهذا ما يُفسّر بعض المواقف المُخزية لبعض الكتّاب المغاربيّين، أمثال الطاهر بن جلّون وياسمينة خضرا وغيرهما، ممّا يحدث، اليوم، من جرائم حرب في حق المدنيّين والأطفال والنساء في فلسطين. ثقافتنا ابتلعت دون تمحيص «القيم الكونية» الغربية ونقلتها من خلال الترجمات (كلاسيكيات الأدب الغربي، مركزية الفلسفة الغربية، الجوائز الغربية...) ولم نستوعب أنّ الترجمة ليست جسراً مثالياً يُسهّل حوار الثقافات، بل هي مقاومةٌ لكل الأشكال التي لعبت فيها دوراً حاسماً كالاستعمار الجديد والإبادة الجماعية والميز العنصري والهيمنة الثقافية. هذا الوعي بالدور الإستراتيجي للترجمة في تفكيك العقل العربي المستلب اليوم هو المطلوب.

فالهيمنة التي نعيشها، اليوم، ليست ثقافيةً فحسب، بل هي اقتصادية وسياسية وفكرية. والمقاومة تروم تفكيك النسيان الذي يمسّ قضايانا الوطنية والقومية وعلى رأسها القضية الفلسطينية. وهذا النسيان لا يمكن أن يقاوَم إلّا بمشروع فكري واضح، يتعلّق بما نترجمه اليوم من الغرب. والمسألة موكولة للمترجمين أنفسهم الذين عليهم أن يتوجّهوا في أعمالهم إلى الفكر النقدي الغربي الذي يُفكّك الصورة الخادعة التي تروّجها الروايات العالمية الشهيرة التي تملأ معارض كتبنا من المغرب إلى الخليج، والانفتاح على الجنوب العالمي (أفريقيا، آسيا، أميركا اللاتينية).

الترجمة اليوم صراعٌ عالمي بين ثقافات مهيمنة وأُخرى تابعة

بدأت بعض هذه الترجمات ترى النور، لكنّها ما زالت محتشمة في العالم العربي. ترجمنا الفكر ما بعد الاستعماري لكلّ من إدوارد سعيد ومنى بيكر وهومي بابا ونغوجي واثيونغو، لكنّنا لم نُترجم الفكر الديكولونيالي ولم نضع إستراتيجية لنقد الغرب... على المترجم أن يفهم أنّ دوره حاسم في اختيار

النصوص والمجالات (أدب، علوم اجتماعية وإنسانية) التي تسهم في مساءلة الأفكار السائدة وتفكيك العقليات التابعة وتقوية الحسّ النقدي عند قارئه. وعليه أن يعمل فردياً ويترك المسؤولية لباقي مكوّنات سلسلة الكِتاب من ناشرين حقيقيين غيورين ومؤسّسات ثقافية مستقلّة.

إن الترجمة اليوم صراعٌ عالمي بين ثقافات مهيمنة وثقافات تابعة عليها التزام الحذر في ما تُغذّي به معرفتها وأجيالها والإطار الذي يسمح لنا بفهم آلياتها ومحاربتها هو المقاربة الديكولونيالية والفكر النقدي الذي ينشط فيها مفكّرون ومفكّرات بارزون من أمثال أشيل مبيمبي، وفرانسواز فرجيس، وسلوى لوست بولبينة، تُرجم بعضهم في المغرب مثل الكاتبة الفرنسية تيفان سمويو «الترجمة والعنف» (توبقال، 2023).

فهذا الفكر النقدي الذي ما زال مجهولاً في العالم العربي يُبرز بما لا يدع مجالاً للشّك أنّ الترجمة هي حصان طروادة الذي نُدخل به لبيوتنا ثقافات الخنوع والتبعية والتطبيع، لأنّ ما نُترجمه في الغالب يكرّس دونيتنا وتخلّفنا وتبعيتنا في مجتمعاتنا. إنّ مقاومة الهيمنة الفكرية الغربية يجب أن يصاحبها أيضاً مقاومة لثقافة عربية تزدهر في بعض دول الخليج من خلال مؤسّسات تُشجّع التدجين والتنميط الإبداعي وتحييد الفكر النقدي بواسطة مشاريع ترجمة غير مكتملة، وورشات كتابة تُنتج أدباً شكلياً لا حياة فيه، تغيب عنه أبسط مقوّمات الحسّ النقدي وتُغري الكتّاب والكاتبات الشباب بالمنح الكبيرة، والمخضرمين والشيوخ بالتعويضات الخيالية والجوائز السمينة. والنتيجة أنّ ثقافتنا صارت تُكرّس الوصولية والأنانية والمصلحة الذاتية على حساب المصلحة الوطنية والقومية.

ولن تعود المقاومة الحقيقية وتعود القضية الفلسطينية إلى قلب النخب العربية إلّا بالوعي الحاد بالتبعية الكارثية للثقافة الغربية، وبضرورة النقد المزدوج للخروج منها فكرياً وإبداعياً والانفتاح على الجنوب العالمي الذي نشترك معه في واقع وثقافة وتحّديات كثيرة.

بطرس المعرّي[1]: ما يمكننا القيام به

يسأل صحافيٌّ قناة «دويتشه فيله» الألمانية الكاتبَ سلمان رشدي عمّا يُمكنه تحقيقه بالأدب في مثل هذا «الوضع الصعب للصراع»، في ظلّ الحرب الدائرة بين «إسرائيل وحماس»، فيُجيب الكاتب الشهير: «للأسف القليل جدّاً. الكلمات لا تُنهي الحروب، ما يمكنه للكاتب فعله حتى الآن هو محاولة التعبير عن الألم الذي يشعر به الكثير من الناس، وربما هذا أفضل ما يمكننا القيام به لتوضيح طبيعة المشكلة».

سؤال الصحافي الألماني، المدروس بعناية إن لم نقُل بخُبث، يُحيلنا إلى تساؤلات حول سلامة خياراتنا في طريقة تقديمنا لطبيعة الصراع مع الكيان المحتلّ. لقد اختصر مذيع القناة، الناطقة بعدّة لغات، ماهية الصراع الأساسية، في حرب بين دولة وبين منظَّمة ذات صبغة دينية، يَعدُّها الغرب منظَّمة إرهابية، لا حرباً بين صاحب أرض وحقّ يدافع عن وجوده منذ عشرات السنين من جهة وغريب مغتصِب في الجهة المقابلة.

كانت الإجابة عامّةً حيادية، ولكن فيها، برأينا، فكرة أساسية في كيفية تقديم هذه القضية إلى العالم: «التعبير عن الألم الذي يشعر به الكثير من الناس (كلّ الفلسطينيّين)» لتوضيح المشكلة؛ فالمشكلة إنسانية وليست دينية، كما يحلو لهم ولنا أيضاً تصويرها (طوفان الأقصى)، بل هي قضية أرض انتُزعت من أهلها، لتُقام عليها دولةٌ لا حقّ شرعيّاً لها فيها. وهذه هي مهمّة وسائل الإعلام العربية، في معرفة أساليب التأثير على مشاعر الشعوب الغربية التي لا تستمع، ولا تُصدّق، إلّا إلى ما يقوله مذيع نشرة الأخبار المسائية، وتُردّده كالببغاوات.

لا شّك في أنّ جزءاً من المَهمّة يقع على عاتق المثقَّف، لكن الجزء الأكبر يقع برأينا على عاتق وسائل الإعلام، والتي عليها أن تُحسن اختيار كوادرها

1 - فنّان تشكيلي سوري مقيم في ألمانيا

وأرشيفها المصوَّر وتتجنب في خطابها ما يستفز، مجّاناً، الغرب؛ فالأمر ليس تحدّياً وعناداً، بقدر ما هو لعبة فُرضت علينا، وعلينا مهمّة كسبها.

في يومنا هذا، على ما أرى، أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي تلعب دوراً كبيراً في تشكيل ثقافة الأجيال الشابّة، وربما هو دورٌ أكبر ممّا تلعبه الصحف والدوريات والمواقع الرصينة ودُور النشر... حَلّ المنشور والفيديو القصير محلّ المقالة والكتاب والبرنامج الثقافي. وهذه الثقافة، المليئة بالخفّة والابتذال، لا تعرف الحدود، فتصل إلى شرائح واسعة من مجتمعاتنا، وأصبح لكلّ مشترك فيها الحقّ في صناعة محتواها. ونجد هنا، إن كان المثقَّف مهتمّاً فعلاً بالعمل للصالح العام، أنّ هذه المنصّات هي إحدى الطرق المثلى حالياً للوصول إلى «الجماهير». وبرأينا، يجب أن يكون النشر والمشاركة فيها، وباللغات التي يجيدها، جزءاً من اهتماماته، فهي، كصدى لفكره، بأهمّية عموده اليومي أو الأسبوعي في صحيفته، أو بأهمّية ندوته أو معرضه أو كتابه الذي يُعد. وإنّ إهمال هذه المنصات ترفُّعاً (ويمكن لنا أن نُبرّر له بعض أسبابه)، ليس في صالح الثقافة، ولا في صالح خلق وتوجيه جيل واعٍ لما جرى أو يجري في المنطقة. ففي خضمّ هذه الفوضى، هناك دائماً قارئ مهتمّ علينا ألّا نهمله. ومن هنا نبدأ، فمع زيادة الوعي، نستطيع مخاطبة الآخَر بلغة ومنطق يفهمهما.

قبل فترة، وجدنا أنّ منشورات فيسبوك لم تعد تصل إلّا إلى جمهور ضيّق، كما أنّ هناك منشورات لا تمرّ على الصفحات كونها تحمل صبغة سياسية مناهضة للمشروع الصهيوني... فما العمل؟ هل نحن قادرون، ولدينا النية، في إنشاء منصّات مستقلّة عن تلك التي تتحكّم بنا، نصل بها إلى «الآخر» الذي يجهل أساس الصراع، ويعادينا بسبب جهله؟ أم أنّ أولوياتنا في مكان آخر؟!

منصّات التواصل طريق مثلى لوصول المثقف إلى الجماهير

نعود إلى الفكرة التي بدأنا بها، فنستعيد حادثةً سبق وكتبنا عنها في «العربي الجديد»: قبل سنوات، وزّعَت مدرسة ابتدائية باريسية على طلّابها، ومنهم ابنتي، قصّة مصوَّرة أنيقة الإخراج مجّاناً. تدور حول جنودٍ يُزيّن زيّهم العسكري صليب معكوف، قاموا باعتقال عائلة يهودية... إلى آخر الرواية، وكان التركيز في القصّة على صورة ولد صغير حزين حُرم من عائلته... قصّة حقيقية، لا نشكّ بها، قد عرفوا استغلالها كغيرها من القصص وكسب التعاطف.

بالطبع، هناك كاتب لهذه القصّة، لكن الأمر لا يقف عند حدّ الكتابة، فهذه لعبة مؤسَّسات تستكتب وتدعم وتُموّل وتُسوّق في سبيل هدف محدَّد؛ فهل وصلت إلينا تلك الفكرة «الناعمة»؟ وما هي إمكانية تطبيقها؟ الأمر برسم أصحاب المال لا برسم كتّابنا ومثقّفينا، ممن لا يغازل أو يستجدي إعلام ومؤسَّسات البلاد التي هاجر أو لجأ إليها.

نجم الدين خلف الله[1]: سرديات قاتلة

بالتوازي مع حرب غزّة وأهوالها العسكرية، تدور حربُ سرديّات تصف ما يجري على أرضية الواقع بهدف التأثير في الجمهور العريض. يُقدِّم الطرف المعتدي روايةً للأحداث ليس فيها من البراءة والصدق ذرّة واحدة. ولا يمكن أن نفترض فيه من صفاء النية أو من الحياد أيّ مقدار، ويجري بعدها التسويق لهذه المحكية على نطاق واسع، يُنشئه السياسيون والعسكريون ابتداءً، مع أنّهم لا يُدلون بتصريحاتهم إلا بتوجيهٍ من محرّرين مُختصّين في فنّ التواصل والإعلام الحربي، حيث توزَن كلُّ كلمة بميزان دقيق.

ويتلقّى بعد ذلك الصحافيون و«المفكّرون» والمعلّقون هذه الرواية ليبثّوها في وعي المتلقّي، وهو الخامل بطبعه، كبداهات يقينية، وقد حُدّدت أهدافُها ضمن استراتيجية شاملة. وليس الخطر في هذا التسلسل المدروس بدقّة، وإنما في الصيغة المقدَّمة التي يتعهّدها هذا الطرف ويراقبها حتّى تظلّ متماسكة وفاعلة في مخيال الجمهور الذي تفترض منه ردّات فعل معيّنة.

وأمّا السرّ الدقيق الذي يختفي وراء هذه العملية، فهو مبدأ الاختزال المُطلَق في الرواية؛ حيث يُقتصر على الجزء الذي يُراد إظهاره من جبل الثلج: «إرهابيّون تسلّلوا لقتل الأبرياء الذين لهم الحقّ المشروع في الدفاع عن أنفسهم». لكن ما لا تقوله هذه الرواية التبسيطية أنّ وراء الهجوم حركية شعبية ورسمية تناضل من أجل تحرير أراضٍ محتلّة باعتراف الأمم المتّحدة ذاتها، وأنّ مستوطنين استحوذوا على تلك الأراضي وطمسوا أسماءها. وللتذكير، اشتُقّت مفردة مُستوطِن من فعل «استوطن» الذي يدلّ، بفضل السّين والتاء، على معنى اعتبار أرضٍ ما وطناً ووجدانها كذلك، حتى وإن لم تكنه في الواقع والقانون.

ولا تقول السردية إنّهم ينالون محفّزات كبرى من أجل البقاء في تلك المناطق واستغلال خيراتها، وإنّهم لم يتوقّفوا عن إلحاق أشنع الفظاعات المدانة بالقانون الدولي بالسكّان الأصليّين للأرض وبإخوانهم الذين يعيشون

1 - كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس

في المناطق الأُخرى، وإنّ عقوداً طويلة من التظاهر السلمي والمَسيرات والهتافات والقِمم الرسمية والتفاوض لم يفلح أيُّها في لجم «نَهَم الاحتلال»، الذي لا حدّ له. كما لا تذكُر هذه المحكيّات أنّ هؤلاء المستوطنين مسلّحون، وأنّهم لم ولن يتورّعوا عن قتل أحدٍ كلّما سنحت الفرصة، يُطلقون الرصاص على الظنّ ويقتلون بالتهمة والهَوَس، ولا حسيب لهم من رادعٍ داخلي ولا من استنكار خارجي.

هكذا، تنبني هذه الروايات على ثنائيّة فاعلَي الخير والشرّ في مقاربة سطحية، تمنع من رؤية التعقّد الذي يسم مثل هذه الوضعيّات التي تُختزل إلى تقابُل جوهراني بين الخَيِّر والشّرير، الطيّب والرديء، المسالم والإرهابي. وعلى العالَم بعدها أن يتقبّل نتيجة هذا التصنيف الثنائي وما يمكن أن ينجرّ عنه من أشكال التدمير، لأنّها تُطاول الشرّ والإرهاب، ولا مُشاحَّة في القضاء عليهما، تحت غطاء سميك من القانون الدولي الذي لا يُستحضر إلّا في وقت الحاجة، ثم يختفي إلى حين.

ويشمل مفتاح الاختزال هذا آليات الرواية ونَقل الحدث بما في ذلك اختيار المفردات وطرق تراكيب الجُمل والتصرّف في مكوّناتها تقديماً وتأخيراً، حذفاً وإظهاراً، علاوةً على صياغة الصور البيانية وغيرها من مواد التأثير التي تصنع وجهة نظر مركَّزة، يسمّيها علماء السرد «البؤرة» في ترجمة لمصطلح (Focus) الآتي من تقنيات التصوير السينمائي، والتي تحجب ما سواها من الأجزاء الأخرى للصورة، إذ لا تنقل إلا ما يُسلَّط عليه الضوء. ومن البديهي أنّ التبئير ليس بريئاً، فهو يهدف إلى إبراز ما يروم صاحب الخطاب التشديد عليه. وفي المقابل، تغيب العناصر التي لا تلائم خطابه ولا يراد لها أن تُرى ولا أن تُسمع.

نعم، فالاختزال لعبة صوتيّة قاعدتها أن تجعل صوتاً ما يطغى على سائر الأصوات أو ينطقها بما يُراد إسماعه للجمهور، لأنّ الهدف أن يهيمن خطابٌ أوحد لا يُناقَش ولا يُعارَض، يبثُّ ضجيجاً يملأ الآذانَ والوعيَ ولا يترك حتى

مجرّد الصدى يعلو، ضمن التنافس على امتلاك الساحة السمعيّة - البصريّة وفرض الصوت الأوحد، حتى تكون السرديّة ضرباً ماكراً من «الاحتلال» الذي يستحوذ على مساحات التعبير كلّها ويتصرّف في تضاريسها، كما لو كانت ملكاً مشاعاً لا يجوز لأحد سواه أنّ يصدع فيه بأدنى كلمة.

كما تجيز لعبة الاختزال التمويهَ والاختلاق الصريح للأحداث، بل لعلّه قاعدتها الرئيسة، وهذا ما جرى في مأساة «المستشفى المعمداني». ومن أعجب مظاهره أنّ سلطة في حجم رئاسة الولايات المتّحدة الأميركية تؤكّد رؤية رؤوس مقطوعة وتلقيها ثيمةً حارقة في خضمّ صراع الفظاعات. لحسن الحظّ، ورد التكذيب سريعاً من مؤسّسات هذه الدولة ذاتها في ارتباكٍ مقصود؛ إذ الغاية الخفيّة من ذلك هو تمييع القضية وتحويلها إلى موضوع مماحكة وتنافس سرديّ يقتل جوهر الكارثة ويحجبها في ثنايا التكذيب والردّ عليه، ثمّ الردّ على الردّ ونقضه بلا نهاية حتى يتشتّت الوعي ويتيه، وهدف ذلك إسكات صوت الحقيقة وخنق الرواية الأصلية المطابِقة لما حصل فعلاً.

فما يجري اليوم في غزّة وما أسفر عنه من روايات دليل قاطع على مدى حيويّة آلية الاختزال التي تُلهي الأسرة الدولية عن ارتقاء المئات دفعةً واحدةً، وتنصبّ الخطابات والنقاشات على الترجيح بين الروايات وانتقادها واستحضار زواياها، كأنّ شغل السياسيّين ورجال القانون والخبراء العسكريّين هو تحليل الخطاب والاشتغال على مبانيه، لا إيقاف الحرب.

ومع ذلك، فالحقيقة التي لن تدلّسها المحكيات ولن تحوّر جوهرها أنّ حرب غزّة أكبر امتحان للإنسانيّة ولا سيما مثقّفيها وسياسيّيها، وهي تفرض الحدّ الأدنى من التعامل الإنساني الذي يجب أن يتعالى، ولو للحظةٍ، على زبد المزايدات السرديّة وحِيَل تشكيل الخطاب ومكر اختيارات المعجم والصُّور. ثمّة آلاف من أرواح الأبرياء أُزهقت وكانت تُزهق من سبعة عُقودٍ، بمرأى ومسمع من الجميع في ظل احتلالٍ بغيض يُمارَس على شعبٍ وأرضه، فلا مكان لروايات، حتى وإن بُرع في تجميل حِبكتها، من أن تُغطّي على ما حصل ويحصل. ولن

تحجب ضخامة الآلة الإعلامية التي تسوّق لهذه المحكيات تهافتَها ولا فظاعة ما يلحق بغزّة وأهلها.

ولن يقدر أحدٌ على التخفيف من الآلام الواقعية التي يُخلّفها الموت والدمار فوقَعُها موجعٌ، لكن من الضروري أن ندرك أنّ معركة السرديات وأدوات ترويجها لا تقّل خطورة، وأنّ الصورة والكلمة لهما أسرع الأثر في الضمائر والعقول، ولذلك يجب خوضُها حتى تتعادل الكفّة وتطّلع بقيّة العالم على الصوت المقموع والجهة المحجوبة. وقد أدرك العرب هذه الرهانات فعلاً، فخاضوا معركة التواصل بمهارة وصدقيّة. وبفضل روايتهم الموازية التي كتبوها بالدم، باتت أصواتٌ تُغنّي خارج السرب الغربي وتُحدث شقوقاً في الصرح الكرتوني الذي شيّده الاحتلال على الأضاليل.

ياسين عدنان[1]: مواجهة التَّمثُّلات الفاسدة

لا أوهام لدينا. فنحن نعرف الطريقة التي يُفصِّل بها الغرب «الأسسَ القانونية» لعدالةٍ دوليّةٍ على مقاسِ مصالحه. فالخلطُ المُريب والمَعيب بين القانون والسياسة، وعدمُ فصل السُّلط في نظام العلاقات الدولية ورَّط النّظام العالمي الجديد في توظيف القانون لـ«التّهذيب السياسي» ولتصفية الحسابات السياسية، وتحويل قانون العقوبات الدولية إلى أداة انتقام من الدول والكيانات «العاصية». هكذا إذن تشكّلت أرضيةُ ما نُسمّيه اليوم سياسةً «الكيل بمكيالين»، التي تطعنُ في مصداقية النّظام العالمي وشرعيته.

لا أوهام لدينا. فنحن نعرف أنّ فرنسا «الحرّية والمساواة والأخوّة» صارت مجرّد حكاية تُروى، فيما استحالت أوروبا التنوير والنّزعة الإنسانية والحداثة والديمقراطية إلى تراثٍ إنسانيٍّ جديرٍ بأكبر متحف. فالكلمة الفصلُ اليوم صارت لهذا الغرب المُتعجرف الذي تقوده أميركا بصلافة. لهذا ربّما يجدر بأحرار أوروبا – من المثقّفين النّزهاء والديمقراطيّين الأصلاء – أن يستعيدوا قدرتهم على التفكير وحرّيتهم في التعبير، ليساهموا في تخليص الأفق الإنساني الأوروبي من سطوة «الغرب»: من سطوة أميركا. بعدها فقط سيصير النقاش حول غزّة وفلسطين ممكنًا. وإلّا، فسيتواصل ما نُتابعه هذه الأيام بقرفٍ من حوارٍ للطُّرشان.

كلّنا مع غزّة، كلّنا مع الحقّ الفلسطيني في هذا العالم العربي المُترامي الأوجاع. كلٌّ من موقعه. نحتاج لأن نتظاهر يوميًّا ضدّ هذا القتل الأعمى لأطفال غزّة ونسائها ومدنيّيها العُزّل. لكن علينا أيضًا أن نشتغل بجدٍّ لنبني خطابًا. وهذه مهمّة شاقّة طويلة النّفَس. إنّما لا مَحيد عنها، ولا بُدّ من الانخراط فيها.

ربّما علينا أن نُعيد الاعتبار للبداهة: واقعُ الحال هو أنّ الأرض الفلسطينيّة مُحتلّة، وغزّة قطاعٌ مُحتَلّ. ومقاومةُ الاحتلالِ وحصارِه الغاشم حقٌّ مشروعٌ

1 - شاعر وإعلامي من المغرب

لكلّ فلسطينيٍّ من أبناء غزّة بغضِّ النظر عن الانتماء الحزبي والأيديولوجي لِمَن يُمارِسُ فعلَ المقاومة، مثلما كانت حقًّا مُصانًا للأوروبيّين في مواجهة الاحتلال النّازي. ثمّ إنّ ردَّ الفعل اليائس لمن يرزح تحت نير الاحتلال مُكابِدًا كلّ أنواع الحصار أمرٌ متوقّعٌ، بل وَيُمكن تفهُّمُه بقليلٍ من سلامة العقل والطويّة. لكن، أنْ يُعربِدَ المحتَلُّ متصنّعًا المفاجأة دون أن يجد في هذا النظام الدولي المُختلّ من يُوقفه عند حدِّه، فهذا إذكاءٌ للمزيد من السُّعار.

لذا نُدين هذه الأساليب المُتغطرِسة في تجريم فعل المقاومة، بل وتجريم حتى إشهار التَّعاطف مع ضحايا الاحتلال. نرفض هذا الابتزاز الرّخيص الذي يُمارَسُ ضدّ الأصوات الحرّة في الغرب بشكلٍ خاص. نرفض هذه الألاعيب الإعلامية المفضوحة التي تُمارِس تكميم الأفواه وهي تحدّد الكلمات وتستبِدُّ بإلباسِها المعاني التي تُناسب تأويلها المُغرِض، ثمّ تشرع - بناءً عليه - في تصيُّد أصحاب الضّمائر الحيّة والمواقف الحرّة للإيقاع بهم في أحابيلها المكشوفة. وها نحن نرى كيف بلغ التّغوُّل مداه بالتّنمُّر على أنطونيو غوتيريش لمجرّد أنْ حاولَ ممارسةَ الحدّ الأدنى من الحياد الذي يُلزِمُهُ به ميثاق الأمم المتّحدة، وهُم يطالبون باستقالته من منصبه كأمين عام، فقط لأنّه قدّرَ بنزاهةٍ أنّ هجمات السابع من أكتوبر «لم تأتِ من فراغ»، وأنَّها «لا تُبرِّر القتل الجماعي الذي تشهده غزّة».

نرفض أيضًا أن تتحوّل بعض وسائط التواصل الاجتماعي إلى أدواتٍ للقمع والتنكيل بالمتعاطفين مع الدم الفلسطيني ومع شهداء غزّة. فأصنافُ المتاريس الرّقميّة التي يستعين بها فيسبوك للتّضييق على المحتويات التي لا تُوافق «هواهُ» السّياسيّ، فاجأت سكّان هذه القارّة الافتراضيّة من العرب والمسلمين الذين آمنُوا منذ «الربيع العربي» بمُعجزتِه التّواصليّة الإلكترونيّة وصدَّقوها وسكنوا إليها واستثمروا فيها إنسانيًّا واجتماعيًّا، قبل أن تنقلب عليهم لوغاريتماتُهُ اليوم لتصدمهم بحقيقة أنّ الحريّة في المدار الإلكتروني مسقوفةٌ مُوجَّهة.

هناك صورٌ شاهدناها هذه الأيام على الشاشات العربية ستُعذِّب الضمير العالمي طويلًا. صورٌ مُؤلمة لجثث أطفال غزّة ومدنيِّيها المقصُوفين بوحشية لا نظير لها. صورٌ حقيقيّة لا علاقة لها بالصُّوَر المزعومةِ التي ادّعى بايدن وجوقَتُه السياسية والإعلامية الاطِّلاع عليها في الخفاء، والتي استُعمِلت ذريعةً لتدمير غزّة وإبادة أهلها. هناك صورٌ كثيرة، موثوقة وملفّقة، ستطفو عاجلًا أم آجلًا على سطح الحقيقة، وستحتاج إلى أن يُحقّق فيها المستقبل.

لكن ليست الصورُ وحدَها ما يقضُّ المضاجع اليوم، بل التَّمثُّلات أيضًا. فالتَّمثُّلات الفاسدة تُعّذبُ أكثر ممّا تُعذّبُ الصّور. لذا علينا أن نفتح بجرأةٍ جبهة الصُّور النمطية والأحكام المسبقة. فهي حاسمةٌ في مواجهةٍ بهذا الزّخم. ذاك أنّ التمثّلات التي كرّسها الإعلام الغربي عنّا في الأدب والسينما والتلفزيون، بالكثير من التهويل وبتحريضيّة سافرة، لعبت دورًا خطيرًا في تنميط بل وشيطنة صورة العربي والمسلم. وها هم السياسيّون الحُواة في أميركا و«إسرائيل» وبعض الدول الأوروبيّة يُوَظّفون هذه الصورة لتجييش مُواطنيهم واستثارة مشاعر العداء والكراهية لديهم ضدَّ العرب والمسلمين. مشاعرُ عداءٍ كامنةٌ في لاوعي الغربيّين وفي وجدانهم العامّ منذ الحروب الصليبيّة. لكن، عوض التدخّل لتجسير الهوة النّفسية وخلق أسباب التقارب بين الثقافات والشعوب، ها هو العدوان الإسرائيلي اليوم يحرص على تغذية هذه التَّمثّلات القاتلة، بل ويستثيرُها لتمرير مواقفه اليمينيّة العنصريّة وتبرير جرائمه الحربيّة.

وأخشى أنّ بعضَ الأوروبيّين يريدون التَّطهُّر من ماضٍ أسود اضطهدَ فيه أسلافٌ لهم اليهود وعرّضوهم لمختلف أصناف التّنكيل. لكن، هل بالمساندة العمياء لجيش الاحتلال الإسرائيلي وهو يمارس الإبادة الجماعيّة لأطفال غزّة يكون التَّطهُّر، أم بالإدانة المبدئية النّزيهة لكل أشكال التَّفنُّن في القتل، أيًّا كان جنسُ القاتل ودينُه وجنسيتُه؟ ثمّ ألَمْ يكن اليهود إلى جانب المسيحيّين والأقباط والإيزيديّين والصابئة والأكراد والأمازيغ جزءًا من النسيج الثقافي والعرقي والديني الذي تعايش على امتداد عصور في المنطقة العربية، وذلك

في مرحلة لم يتمكّن فيها الغربُ من تحمُّلِ اليهود كبنيةٍ مُغايرة؟ لقد حدث ذلك في الماضي. طرد الإسبانُ الآلافَ من اليهود والموريسكيّين قبل خمسة قرون، طاردوهم ونكّلوا بهم. وعرَّض النازيّون اليهود لمحرقة شنيعة. ونحن لا نحاسب أوروبيّي اليوم على أخطاء الماضي وجرائمه، فما بالهُم يُحاسبوننا نحنُ على جرائم لم نقترفها، في عملية قلبٍ سافرٍ للأدوار؟ فأطفال غزّة الذين تُشوى جُلودُهم اليوم ليسوا مسؤولين عن محرقة الماضي. كما أنَّ أهلنا في فلسطين ساميّون لو تدرون، فكيف يُتَّهمون بمعاداة السّامية؟

ثمّ لنقُلها صراحةً: «إسرائيل» ليست جزءًا من التاريخ القديم للمنطقة. فهي بنتُ جغرافيا متخيَّلة اخترعها الكهنة اليهود. ثم ساهم الاستشراق والمستشرقون في صياغة سرديتها وبلورة حبكتها. وأخيرًا مكّنَ لها الاستعمار البريطاني وغرسَها في قلب المنطقة العربية ضمن مشروعٍ عامٍّ لتمزيقِ الكيانات العربيّة وزرْعِ أسباب الفتن الدينيّة والطائفيّة والمذهبيّةً وسطها قبل منْحِها استقلالاتٍ ملغومةً يبدو أنّها لا تزال ناقصةً حتى اليوم. وها هي أميركا وريثةُ الاستعمار، والاعتبارات جيو -إستراتيجية لها علاقة بالنفط والغاز تُواصلُ دعم صنيعة الاستعمار في المنطقة ظالمةً ومظلومة.

لهذا نرى أنّ جزءًا من مواجهة هذه الأسطورة المعاصرة يقتضي فعلًا تحليل السردية التي تسنُدها والتَّمثُّلات التي تعضِّدُها والخطابات التي تُروّجُ لها. فالتَّرافع من أجل فلسطين لا يجب تركُه للسياسيّين وحدهم، وَلِمن والاَهم من وسائل الإعلام الكبرى السائدة. إنّما هو شأنٌ ثقافيٌّ وحضاريٌّ أيضًا. لذا نحتاج صوت المثقّف وتدخُّله. كما نحتاج أكثر من أيّ وقت مضى الأصوات العربيّة الحرّة التي تعيش في الغرب. فهي أقدرُ منّا على محاورة الرّأي العام الغربي بمنطِقه ولغتِه. فشعوب الغرب تستأهل خطاب الحقيقة بكلّ وعي ونزاهة. وهي لن تقبل الانجراف طويلًا وراء جوقة التّزييف التي تُلغي آدمية الفلسطينيّ لتبرير إبادته، دافعةً المنطقة ومعها باقي العالم إلى مزيد من التَّقاطُب والتصعيد، وإلى مزيد من قصف الأمل وتفجير المستقبل.

نبيل منصر[1]: عِلَّة الديمقراطية الغربية

تَمُّر فلسطين اليوم بأكثر فترات تاريخها الحديث حُلكةً ومأساوية. ليس فقط لأنّ الاحتلال الإسرائيلي يُنفِّذ على أرضها سياسةَ عُنفٍ وتَهجير لا تَرحم، بل أيضاً لأنه يفعل ذلك بغطاء أميركي و«تَفهُّم» كبير من «العالَم الديمقراطي الحُر». إنّ ترسانة القيم والتشريعات التي يُدارُ بها عالَمُ ما بعد الحرب العالمية الثانية لا تُؤوِّل الآن بطريقة مُجحفة، وغير ديمقراطية بالمَّرة، كما حَدثَ في أكثر من بُقعة، وإنما تتعطَّل تماماً، بفعل آلة تقتيل جهنمية، تَفتكُ، دفعة واحدة، بالفلسطيني الأعزل وبحُقوقه التاريخية والإنسانية. آلة تُحطِّم بيتَه فوق ضُلوعه، رامِيةً بالناجين في عراء الفزع والتيه والأسئلة المُقلقة.

تنام غزّة وتصحو، هذه الأيام، على القصف المجنون. آلةُ حربٍ مدمِّرة تخضعُ لإستراتيجيّي العُنف في «إسرائيل»، الذين يُسوِّغون، بالقنابل العمياء والإعلام المُسَّخر، سياسَة الحِّل في القتل والتهجير. عندما يَتَعمْلَق العُنف، ويُصبِحُ برنامَجاً سياسياً وعسكرياً، كما يتجسَّد الآن أمام أنظار العالَم، فإنّه لا يَترُك المجال للسياسة. لا يُريُد المحتّل، وِفق هذا التمادي المجنون في العُنف، أن يَجلِس إلى طاوِلة مفاوضات كيان فلسطيني حيوي، وإنما يُريدُ الجلوس إلى كيان هشّ وجريح، يلفظ أمامه آخر أنفاسِه السياسية. السياسة بهذا المفهوم تُتوِّجُ ما شَرَّعَتْه آلَة الحرب، لِتُضفي على نتائجها الكارثية غِطاءً «سياسياً» لا يُقنِع أحداً، ولكنّه يتماشى مع نفاق الغرب «الديمقراطي»، الذي لا تتحرّك حساسيته الإنسانية عندما يُحرَق أطفال فلسطين وجرحى مستشفياتها.

إن «العِلَّة» التي تَنخر «العالَم الديمقراطي»، اليوم، لا تحتاج إلى مَزيدٍ من الشرح. كُلُّ قَصفٍ إسرائيلي يَعجِنُ البُيوتَ فوق ساكنَتِها المرعوبين، فإنما يُضيفُ كَلمة فصيحة إلى البيداغوجيا السياسية لِلمُعلِّقين الشرفاء. يُفاقِمُ

1 - شاعر وناقد من المغرب

المُحتُّل سياسَة القمع والاستيطان والتخريب، ضارباً عرض الحائط المواثيقَ والاتفاقيات، واجداً، في كلّ فعل مُقاوِم، في كُلِّ خلجة مُقاومة، فُرصة لِتنفيذ سياسَة أعنف، لا تَجِدُ أيُّ فُرصةٍ للسلام إلّا في ابتلاع الأرض وتهجير السكان. عِلَّة الديمقراطية الغربية، لا تكمُن في نُصرة» إسرائيل»، في كلّ ظرف وشرط، ولكن في سياسة الكيل بمكيالين، التي يذهب ضحيتَها أطفالٌ ليس لهم الحقّ في التفتُّح والحياة، مثل كلّ أطفال العالم.

إنّ هامش الفعل الثقافي، في هذا الواقع، المُوجَّه بِقوة الآلة العسكرية والإعلامية، يبقى صغيراً جدّاً، وقد لا يُعطي بعض النتائج المَرجوّة منه إلّا على المدى المُتوسّط والبعيد. لكنه، يبقى أحد أسلحة مَعركة البقاء بالنسبة إلى الفلسطيني. ولذلك، يَتعيَّن على المُؤسّسات الثقافية العربية أن تدعم أكثر المحتوى الثقافي المُقاوِم في الإعلام وأجناس التعبير الفنّية المختلفة، خاصّة منها ذات التوجّه والامتداد الجماهيري، مثل السينما والكاريكاتير والتصوير الفنّي والفوتوغرافي والمسرح والدراما التلفزيونية. ويَتعيَّن، أن يُسخَّر المالُ اللازم، من قبل مُؤسّسات الإنتاج، لِتُقدِّم مادّة ثقافية وفنّية تَحترم ذكاءَ المُتلقّي العربي، وتُدعِّم سَرْدِيَّة المُقاوَمة بكل ما يَشفع لها من وثائق وبَحث تاريخي ونفاذ في المقاربة والتحليل. هذه المادة الثقافية تبني حبكة تشدُّ الأنفاس وتُفتِّح الوعي أكثر بِشرط الإنسان والقضية.

يَتعيَّن أيضاً، أن تُضافِر مُؤسَّسات النَّشر العربية جُهودَها لِخدمة السَّردية الفلسطينية (وهي صاحبة حقّ)، من خلال إعادة طبع ونشر كلاسيكيات الأدب الفلسطيني، في الشعر والرواية والقصة (وقصص الأطفال) في كُتب جميلة وجَذّابة، تكون زَهيدة الثمن، وفي مُتناول فئات واسعة من القراء. على أن تُرافقها ندواتٌ وبرامج في الإعلام والفضاءات الثقافية المختلفة، لِتحويلها إلى مادة للاستمتاع والتثقيف وصناعة الرأي، خاصّةً عند الأجيال الجديدة، التي تبدو مُنغمِرة أكثر في سياقات التواصل والثقافة الإلكترونية السطحية، ومُنقطعة، بشكل كبير، عن منابع الثقافة، القومية والوطنية، الجادّة والعميقة.

يَتعيَّن، بذات القدر، مُضاعفة الجهود لتَرجمة الأدب الفلسطيني (والعربي المُرتبِط بالقضية)، قديمِه وحديثِه، إلى اللغات الإنسانية الحية، والأكثر تأثيراً في صناعة رأي ثقافي عالمي. ويَنبغي الحرص على تقديم أجود الأعمال والمؤلّفات الفلسطينية، من حيث البناء والنضج الفنّي، لأنّ القارئ الغربي، مُزوَّد بذخيرة ثقافية عَريقة ومُتجدِّدة، فهو يَفتَرِضُ مُستوى فنّياً لائقاً، لا يَنبغي للأعمال المُقترَحة للترجمة أن تُخِّل به. لذلك، فكل جهدٍ مبذول، في هذا الباب، ينبغي أن يبقى مُحصَّناً ضِد الأهواء الفردية، الصغيرة، التي لا تخدم في أيِّ شيء فكرة نبيلة وعادلة.

ويَتعيَّن أيضاً، وبقوّة، دَعم الإنسان الفلسطيني، في هذه اللحظة الحرجة من حياته، ليبقى صامِداً فوق الأرض، مُتشبّثاً أكثر بحقّه، مقاوِماً سياسة التهجير، وذلك بتخصيصِه بجوائز عربية، ربما ترتبط بالحرف والفنون التقليدية، الكاشِفة عن الهوية الفلسطينية. كما، يتعيّن مكافأة الذكاء الفلسطيني في كلّ المجالات، ولِمَ لا التفكير في سَن جائزة عربية دولية خاصّة بالأدب الفلسطيني المُعاصر، مع ما يُرافقها من أعمال الترجمة والتكييف السينمائي أو الفنّي، مع دعم إعلامي مدروس وموسَّع، يجعل الفائز بالجائزة والهوية التي يُمثّل ترسَخ أكثر في الوجدان العربي والإنساني، بما يخلق شروطاً أوسع للتعاطف النبيل مع القضية الفلسطينية.

الثقافة العربية واختبار فلسطين.. ما العمل؟ (6)

التاريخ: 2023/11/06

المصدر: العربي الجديد

الكاتب: غير مُحدّد

في وقت يرتكب فيه كيان المستعمرة الصهيونية جرائم إبادة مستمرّة في فلسطين، يمكن مقارنتها بأكبر فظائع القرن العشرين، بغطاء أميركي وأوروبي، بعد هزيمته العسكرية أمام شجاعة الإنسان الفلسطيني المقاوم في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر الجاري، والتي رأت فيها الشعوب العربية بشائر تحرير وحرية؛ ماذا يمكن أن تفعل الثقافة العربية للقضية الفلسطينية؟ كيف تُصبح الثقافة أداة تحرُّر وتحرير للأرض والإنسان؟ وكيف يمكن أن تقاوم الثقافة العربية هيمنةَ المشروع الصهيوني على العالم العربي من خلال التطبيع والترسانة العسكرية والسيطرة على الإعلام والدعم الأميركي والغربي، وأي أدوات نمتلك؟

شاركنا في «العربي الجديد» هذه الأسئلة مع كتّاب ومثقّفين عرب، في محاولة تفكير جماعي بما يمكن للثقافة العربية أن تفعله الآن - وفي لحظات مفصلية قادمة - في طريقها إلى التحرّر والعدالة الاجتماعية وإنهاء الوقائع الاستعمارية والاستبدادية.

نجوان درويش/ القدس المحتلة

تيسير أبو عودة [1]: مواجهة ثقافية مباشرة مع التاريخ

يبدو أن عدد الشهداء في غزّة، حتى كتابة هذا المقال، وبعد عملية «طوفان الأقصى»، يفوق ثمانية آلاف فلسطيني جلُّهم من النساء والأطفال، قُتلوا وُدكّت بيوتهم فوق رؤوسهم أمام أنظار كلّ العالم وبمساعدة الأميركيّين ودعم المستعمرين الأوروبيّين الكلاسيكيين مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا.

أصبحت جريمةً قانونية في فرنسا أن يرفع أحدُهم العلم الفلسطيني، وبلغ الأمر بالألمان أن يُجرّموا كلَّ من يحاول التظاهر انتصاراً لأهل غزّة أو للمُطالبة بوقف الحرب على أهلها. ليس هذا فحسب، بل طالب أكثر من خمسين ألف طالب وأكاديمي مناصر لدولة الكيان الصهيوني بفصل المفكّر العربي الفلسطيني جوزيف مسعد من «جامعة كولومبيا» بعد نشره مقالاً عن العدوان على غزّة، يُبيّن فيه أنّ عملية طوفان غزّة في السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر جاءت ضربةً موجعة لمستقبل نتنياهو السياسي، وسيكون لها أثر كبير على عملية التطبيع بين «إسرائيل» والحكومات العربية.

أمّا تآمر فيسبوك والإعلام الغربي ضدّ الفلسطينيّين في الجرائم التي تُرتكب في غزّة، فهذه فضيحة أخلاقية أُخرى جعلت الكثير من الكتّاب العرب والغربيّين يعيدون النظر في مصطلحات غربية مركزية مثل الديمقراطية والتنوير والليبرالية والعقلانية والتقدّم والحضارة وحقوق الإنسان.

لا بد لنا من فهم المكوّن الثقافي الصلب في الاستعمار الصهيوني الاستيطاني في فلسطين، وهو تقديم نفسه تاريخياً وأيديولوجياً ووجودياً وسردياً ومعرفياً ووطنياً باعتباره المخلّص المسيح لليهود الأوروبيّين الذين دفعوا ثمن المحرقة على يد النازيّين، فحُقّ للناجين من المحرقة بأن ينالوا وطناً قوميًا لهم في فلسطين، اخترعه الاستعمار البريطاني من خلال وعد بلفور عام 1917، بعد سلسلة ممنهجة من شراء الأراضي وتهجير الفلسطينيّين وارتكاب الكثير من المجازر بحقّهم. وهذا بالطبع يدفعنا لمحاولة فهم جذور الصهيونية الأوروبية وزواجها الكاثوليكي

1 - باحث وأكاديمي من الأردن

بالمسيحية البروتستانتية، وصيرورة اختراع دولة «إسرائيل»، بوصفها روما الجديدة المحاطة بالبرابرة العرب المسلمين، حسب وصف دعاتهم أمثال ديفيد بن غوريون وغولدا مائير وتيودور هرتزل وهربرت صاموئيل، وكتّابهم أمثال عاموس عوز ويهودا عميخاي وغيرهم.

ظلّت السردية الصهيونية قائمةً وجرى تجديدها على يد الكّتاب الصهاينة وبعض المؤرّخين الجدد، أمثال بيني موريس الذي اختزل قضية الفلسطينيّين في مشكلة اللاجئين، والاعتراف بأنّهم طُردوا من فلسطين، لكنّه يرى، في الوقت نفسه، أنّ الكيان الصهيوني دولة شرعية خاضت حروبها المشروعة ضد العرب البرابرة المعادين للسامية.

يُذكّرنا المؤرّخ نور مصالحة بأن الترحيل هو مصطلح مخاتل لحقيقة الطرد الجماعي للفلسطينيّين ومحو فلسطين التاريخية من الذاكرة الجمعية، ويُذكّرنا إدوارد سعيد، وجوزيف مسعد كذلك، بأنّ سردية الضحية والتعاطف معها لا تكفي لتحقيق مشروع التحرير والتحرر لفلسطين وأهلها ومشروع المقاومة المسلحة والمشروعة. نحن، إذن، أمام مجابهة ثقافية كبرى لا يمكن للمخيال الثقافي الاستعماري أن يعزلها عن تاريخ المحو الثقافي الذي تعرَّض له الهنود الحمر على يد كريستوفر كولومبوس وأتباعه الجدد والسكّان الأصليّين في كندا وغيرها من دول الاستعمار الأوروبي. وكأن خطاب الصهيونية باختصار يقول لنا جميعاً وللفلسطينيّين وبكلّ صفاقة: ذبح الفلسطينيّين وتهجيرهم ومحو تاريخهم وثقافتهم ووجودهم هو حقّ مشروع لدولة الكيان الصهيوني، وأيّ محاولة لمجابهة وحش الاستعمار الصهيوني هي محض عنف بربري متوحّش ونازي ومعاداة للسامية.

يعلم المؤرّخون، أمثال رشيد الخالدي وآي في شليم، أنّ كسر شوكة الثورة الفلسطينية في 1936 - 1939، على يد الاستعمار الإنكليزي كانت بداية إرهاصات النكبة الفلسطينية. ظلّ هذا المشروع الصهيوني منذ عام 1948، وما نسمّيه بالنكبة، حسب توصيف قسطنطين زريق، ترجمة استعمارية وإمبريالية ثقافية لفكرة جرى تصنيمها عبر العقود المنصرمة، وهي التحديث والنهضة والتقدّم الأوروبي

مقابل ثنائية التخلّف والتأخّر الحضاري الذي يغرق فيه العرب المسلمون، حسب توصيفهم، بعد سقوط الدولة العثمانية من خريطة القوى الإمبريالية التي تصنع قواعد اللعبة، حتى صار صنّاع التاريخ يسمونها آنذاك «رجل أوروبا المريض».

اختفت فلسطين سياسياً من الفعل السياسي الدولي بعد «اتفاقية أوسلو» عام 1993، بل صار يُشار إليها بخجل في محافل الأمم المتّحدة من خلال ما آلت إليه السلطة الفلسطينية الهزيلة والفاسدة، بل وصل الأمر أن أصبحت السلطة الفلسطينية تمارس وظيفة الوكيل الاستعماري داخل الضفّة الغربية، ولا تألو جهدا في التنكيل بالفلسطينيين والمقاومة، وكلّنا نذكر التصفية الوحشية للناشط الفسطيني نزار بنات على يد السلطة الفلسطينية، أو ما يسمّيها جوزيف مسعد بالمرتزقة. التصقت صورة الفلسطيني في المخيال الصهيوني والأوروبي المركزي في أفلام هوليوود والإعلام الغربي المتحيّز باعتباره الفلسطيني المخرِّب والبربري والأصولي والمعادي للسامية. صار الفلسطينيُّ اليهوديَّ الجديد في عقر داره.

وفي ملّتي واعتقادي أنّ هنالك ثلاث سرديات ثقافية يجري توظيفهما في خضمّ الخطاب الصهيوني الاستعماري المضادّ للوجود الفلسطيني وحقّ الفلسطينيّين في المقاومة والردّ بالمثل وتحقيق مشروع التحرُّر الوطني في أرض فلسطين التاريخية، وهي: صراع الحضارات، ومعاداة السامية والاستشراق الصهيوني. لقد نجحت الصهيونية في جعل مشروعها الاستعماري المعادل الموضوعي للاستعمار الأوروبي والتفوّق الغربي المتغطرس، فحشدت الجامعات والعلماء والأدباء وصواريخ إف 16- وأعتى أنواع الأسلحة لتنضمّ إلى جوقة الاستعمار الجديد ورسم صورة فلسطين دائماً بوصفها «أرضاً بلا شعب لشعب بلا أرض».

كان غسّان كنفاني ووليد الخالدي وناجي العلي ومريد البرغوثي وحلوة زيدان وشادية أبو غزالة وفدوى طوقان ومحمود درويش وإدوارد سعيد وسميح القاسم ووليد سيف وزكريا محمد وجوزيف مسعد ونور مصالحة ورشيد الخالدي وغيرهم يدركون هذا الثالوث الصهيوني الأوروبي قلباً وقالباً، فتجلّى هذا الخطاب في أعمالهم كسردية ثقافية مضادّة للمشروع الصهيوني ومآلاته الأيديولوجية والاستيطانية. لا أزعم أنّ الخندق الثقافي هو الخلاص النهائي للقضية الفلسطينية ومقاومة المحو

العرقي والوجودي الذي يمارسه الكيان الصهيوني الفاشي، ولكن الفعل الثقافي بكل أطيافه يبقى فعل مقاوَمة لا عوض عنه كلّما كانت بوصلته القضية الفلسطينية، والمسؤولية الأخلاقية في مجابهة فاشية الكيان الصهيوني على المستوى السردي والأيديولوجي. ولكن علينا أن نعترف أنّ أزمة الثقافة العربية الحالية تكمن في طبقة الثقافة البرجوازية والإنتلجنسيا المحكومة بإكراهات الكيانات العربية الوظيفية، والتابعة للمركز الاستعماري الغربي سياسياً واقتصادياً وثقافياً.

وأختم بمثال حيّ وصارخ على الدعاية الثقافية الصهيونية في شيطنة الفلسطيني وتحويله إلى مخرّب وبربري وأصولي خطير، فها هو عاموس عوز، الروائي الإسرائيلي الأبرز في تاريخ دولة الاستعمار الصهيوني، يحاول الإساءة لتاريخ فلسطين والمقاومة الفلسطينية، حين يقول: «إنّ إسرائيل وطننا، وفلسطين هي وطنكم. وكلّ من يرفض التعايش مع هاتين الحقيقتين فهو إمّا أن يكون أعمى أو شرّيراً... لقد جاءت أوسلو بمئات الشروط، ولكن جوهرها كان واضحاً وبسيطاً: أن نتوقّف عن السيطرة عليكم، أن نتوقّف عن قمعكم، وأنتم بالمقابل تعترفون بدولة إسرائيل، وتتوقّفون عن قتلنا.. وبعد خمسين عاماً، فإن الحكومات العربية لم تألو جهداً في استخدام الفلسطينيّين كأداة انتحارية، من خلال إرسالهم لارتكاب عمليات انتحارية ضدّنا، بينما يكتفون بمراقبة المسرحية وهُم يجلسون على أرائكهم الوثيرة من بعيد. أمّا الآن، فمعظم الحكومات العربية قد أبرمت اتفاقيات سلام معنا دون أن تذرف دمعة واحدة على نكبتكم. فهل تحاولون أيها الفلسطينيون أن تتطوّعوا لأن تكونوا قنابل تدبّ على الأرض، لكي ترتكبوا المزيد من العمليات الانتحارية!» (عاموس عوز، ترجمتي، The New York Review، 1996).

وفي السياق نفسه، لا ننسى أنّ عاموس عوز أرسل نسخة من روايته «قصّة حب وظلام» إلى مروان البرغوثي في السجون الإسرائيلية، مرفقاً معها عبارة خبيثة تجعلنا في مواجهة أيديولوجية وثقافية مباشرة مع التاريخ: «هذه حكايتنا نحن. أتمنّى أن تقرأها، وتفهمها كما نفهمك، راجياً أن أراك خارج السجن وأنت تنعم بالسلام». وبهذا يصبح الجواب على لسان محمود درويش: «من يكتب حكايته يرث أرض الكلام، ويملك المعنى تماماً».

نارت قاخون[1]: المقاوَمة أوّلاً وأخيراً

تكاثرت تعريفات «الثقافة» حتّى صارت تدلّ على كلّ شيء، وما دلّ على كلّ شيء لم يعد يدلّ على شيء؛ فالدلالة المفهومية حدٌّ وقيد، يمنع الكلمات من الذوبان في اللامعنى.

«الثقافة» ليست من عريق كلمات العربية فيما يُراد لها من دلالات في عصرنا التداولي، ولكنّ جذرها العريق عربيّاً يعود إلى الحذق والمهارة في رمي الرماح وتسديد السهام، والمجالدة بالسيوف، وشدّة الحموضة، وهذه الجذور هي أشدّ ما تحتاجه «الثقافة» و«المثقّفون» اليوم.

فـ«الثقافة» مقاوَمة، وحذق ومهارة في رمي رماح الفكر والأدب، وتسديد سهام المعرفة، هي مجالدة ومخاصمة بسيوف معرفيّة، ثقافة حامضة، بل مُرّة، مزعجة مقلقة مقاوِمة.

«الثقافة» سلطة مقاومة، سلطة مزعجة مؤلمة، تقاوم سلطة «القاهرين» لصالح «المقهورين»، تؤلم «السلطة الغاشمة»، وتعيد المفارقة والتضادّ والتناقض بين «الحقيقة» و«السلطة».

«الثقافة» تقاوم الوضع الراهن، تعيد كلّ قضيّة إلى أوّلها وجذرها، ففلسطين أرض عربية محتلّة من عدو غاصب محتلّ، يجب تحريرها، وتحريرها هو «الممكن» المشروع الوحيد ثقافة وواقعاً.

«الثقافة» و«المثقّف» كلمتان حذرتان حسّاستان لا تقبلان بأيّ تمييع؛ فلا وجود لـ«مثقّف السلطة»، و«المثقّف الخائن»، و«المثقّف العميل»؛ فالجمع بين السلطة والخيانة والعمالة من جهة، و«الثقافة» من جهة أُخرى، تناقُض صارخ، وعمالة وخيانة لـ«الثقافة» و«المثقّف» مفهوماً ومصداقاً.

تنجح سلطة الاستبداد والقهر والاحتلال بتواطؤ جاهلٍ غبيّ شجاع ومتعلّم ذكيّ جبان، وليس بـ«المثقّف»، ولا بـ«الثقافة»؛ فليست الثقافة أن تعرف شيئاً عن كلّ شيء، وليست نظاماً رمزياً معرفيّاً يُعبّر عن الموجود، بل هي أن تعرف

1 - باحث وأكاديمي من الأردن

ما يجب عن كلّ شيء، ونظام رمزي معرفي يُعبّر عمّا يجب أن يكون، وعمّا لا ينبغي أن يكون، ثقافة تستعيد «الحقيقة» من تدليس سلطة النفوذ المالي والسياسي إلى نفوذ الوعي الجمعي والنوعي للجماعة والشعب والأمّة.

«الثقافة» توظيف لكلّ الرأسمال الرمزي للأمّة، من الأساطير والخرافات، حتى الحقائق العلمية والمعادلات الرياضية لصالح الأمّة والجماعة، هي انحياز صارخ، بل وقحٌ لا يداري ولا يداهن لوجود الأمّة، وتاريخها، وحاضرها، ومستقبلها.

«الثقافة» اشتباك مع المرجعيّات والقواعد والقوانين، وليست مناورات في ألعاب نخضع لقوانينها الموضوعة من غيرنا الذي لا يُخفي انحيازه لنفسه، ولنفسه فقط.

ليست «الثقافة» أن تفوز في لعبة شطرنج، بل أن تضع قوانينها، أن تقاوم مرجعيّتها، «الثقافة» مجالدة وخصومة شطرنجية، يكون أوّل مَن يُضحّى به «ملك» و«وزير»؛ ليحيا ويعيش «الجندي».

لم يأتِ «طوفان الأقصى» بجديد، ولم تكتشف مقاومة غزّة جديداً، بل أعادت تعريف العريق القديم الأصيل؛ نحن في معركة ومجالدة لا تستعيد - ببلاهة - المقولة الشكسبيرية «نكون أو لا نكون، تلك هي المسألة»، بل تبعث فينا مقولة «نكون وسنكون ولا شيء غير أن نكون»؛ وكان هنا ليست فعلاً ناقصاً، بل هي فعل تامّ بمعنى الوجود.

«الثقافة» مؤلمة تعيد الألم الواجب للمعرفة والأخلاق والعمل، تتخلّص من أوهام ما نستطيع وما لا نستطيع، إلى آلام ما يجب وما لا يجب.

«المثقّف» في زماننا من ينجو من الجيل الرابع والخامس من الفاسدين؛ فاسد صغير ينشأ في رعاية فاسد كبير، يعيش على منظومة الفساد، ولكنّه يستجيب لمتطلّبات العصر وممكنات فساده «العصرية»!

«المثّقف» من يبدأ حكايته من «أوّلاً»، ولا يقع في حيلة من يبدأ من «ثانياً»، فكما يقول مريد البرغوثيّ: «من السهل طمسُ الحقيقة بحيلة لغوية بسيطة: ابدأ حكايتك من «ثانياً»، فيكفي أن تبدأ حكايتك من «ثانياً» لينقلب العالم: ينقلب «المظلوم» ظالماً، وينسى الناس «الظّالم» أوّلاً».

الكيان الصهيوني كيان احتلال لا مشروعيّة لوجوده أوّلاً.

الكيان الصّهيوني أنموذج دالّ وفاعلٌ في أنموذج رأسمالي تسليعي إبادي مركزه الولايات المتّحدة، ومعها حلفاؤها وشركاؤها، ومقاولوها المحلّيون في بلادنا أوّلاً.

مقاومة الاحتلال وإزالته أوّلاً.

نحن العرب أمّة واحدة أوّلاً، ليس بالشعر والشعور واللّغة والتاريخ والدين وحسب، بل بضرورة الواقع، وحكم المنطق البارد، والواقعية، بل الانتهازيّة السياسية والاقتصادية كذلك.

«الثقافة» مقاوَمةٌ أوّلاً وأخيراً وآخراً.